السيد جواد أميري

أسباب الذنوب

دار الهادي

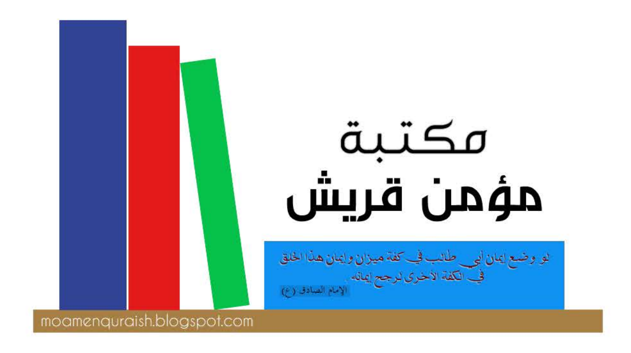


أسباب الذنوب

الطبعة الثانية

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

ISBN:978-9953-503-29-5



دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

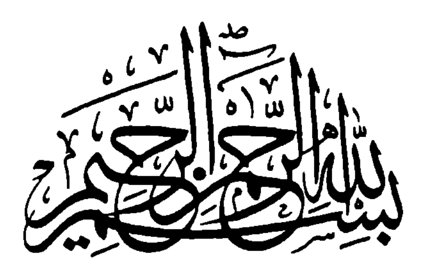
هاتف: ٥٥٠٤٨٧/٠١ - ٠٣/٨٩٦٣٢٩ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص. ب: ٢٥/٢٨٦ غبيري - بيروت - لبنان

E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

أسباب الذنوب

السيد جواد أميري




بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة شكر

نتوجه بالشكر والتقدير إلىٰ السيد خليل عصامي علىٰ ترجمته لهذا الكتاب القيّم، وللسيد موسى قصير علىٰ مراجعته له راجين من الله القبول، وللقرّاء الأعزاء حسن الاستفادة منه.

لجنة الهدى

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

ما مِن أحد إلاّ ويدرك بأنَّ السبيل الوحيد لارتقاء درجات السعادة، والمسلك الوحيد للنجاة من دركات الشقاء هو سبيل التقوىٰ. فالتقوىٰ هي التي تقرّب الإنسان إلىٰ ربّه، وأنصع دليل علىٰ ذلك هو قوله عزّ من قائل: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾[1]. وقد وردت كلمة التقوىٰ ومشتقاتها في القرآن الكريم أكثر من مائتي مرّة.

ولكن ما معنىٰ التقوىٰ؟

قال المحدّث الجليل المرحوم المجلسي رحمه الله: «والتقوىٰ من الوقاية وهي في اللغة فرط الصيانة، وفي العرف صيانة النفس عمّا يضرها في الآخرة، وقصرها علىٰ ما ينفعها فيها. ولها ثلاث مراتب:

الأولىٰ: وقاية النفس عن العذاب المخلّد بتصحيح العقائد الإيمانية.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

الثانية: التجنّب عن كل ما يؤثم من فعلٍ أو ترك وهو المعروف عند أهل الشرع.

الثالثة: التوقّي عن كل ما يشغل القلب عن الحق، وهذه درجة الخواص، بل خاص الخاص»[1].

ونفهم في ضوء ما سبق ذكره أن كمال الإنسان وعلو درجته رهين بما يتّصف به من التقوىٰ والالتزام بمفاد درجاتها الثلاث. وأولاها أن تكون معتقداته صحيحة؛ أي أن يعرف أصول الدين بالدليل العقلي، ويكون لديه إلمام بفروع الدين. وثانيها أن يتجنّب المعاصي والآثام عملياً، وثالثها التوقّي عن كل ما يشغله عن الله؛ أي أن يفرغ قلبه ويطهره من كل شيء غير الله.

ومن الطبيعي أن المعنىٰ الثاني للتقوىٰ وهو معناها العرفي والاصطلاحي لا يتيسّر إلاّ من خلال معرفة الآثام. والإنسان الراغب في الكمال والسعادة يسعىٰ لمعرفة الذنوب والآثام لكي يتوقّاها. وقد صنّف علماء الشيعة كتباً عديدة حول الذنوب وعواقبها من وجهة نظر العقل والشريعة رجاء أن يستفيد منها المسلمون ويميزوا بين سبيل الخير وسبيل الشر، ويحيدوا عن الذنب ويجنحوا صوب الثواب. نشير علىٰ سبيل المثال إلىٰ «الذنوب الكبيرة» الذي ألّفه المرحوم آية الله عبد الحسين دستغيب.

ومن الواجب أيضاً أن يكون المسلم عادلاً. وقد بيّن العلماء أن العادل هو من يجتنب الكبائر ولا يصر علىٰ الصغائر. ونستشف من هذا الكلام ان الذنوب علىٰ نوعين:

---

(١) بحار الأنوار، ج٦٧، ص١٣٦.

١ ـ ذنوب كبيرة.

٢ ـ ذنوب صغيرة.

وقد ورد معنىٰ وتعريف كل واحد منهما تفصيلياً في كتاب «الذنوب الكبيرة» الذي سبق ذكره.

ولكن قد يقول قائل إن بعض القبائح والرذائل لا تدخل في عداد الأعمال وإنّما هي صفات مغروسة في ذات الإنسان وتدفعه نحو اقتراف الذنوب. ولا بدّ من استكناه الأسباب الجذرية للذنب ليكون المرء قادراً عندئذ علىٰ تركه واقتلاع جذوره من بواطن ذاته. نذكر مثلاً أنَّ الغيبة من الكبائر وهي عمل حرام وتركها واجب. وإذا عزم المرء علىٰ ترك هذا الفعل القبيح يجب عليه مراجعة ذاته والبحث في مكامنها عن مواطن الخلل التي تدفعه نحو اغتياب أخيه المسلم. وقد يجد أثناء البحث أن سببها يُعزى إلىٰ صفة قبيحة مستوطنة فيه كالبخل أو الحسد أو ما شابه ذلك. وما عليه إن أراد التخلص من هذه الممارسة الذميمة ـ الغيبة ـ إلاّ أن يقتلع جذورها من ذاته، لكي يتسنىٰ له الإقلاع عن ذنب الغيبة.

ويمكن الإتيان بمثال آخر علىٰ هذا المعنىٰ وهو أن المرء قد يقترف العظائم من الذنوب ولربّما لطخ يديه بدماء إنسان بريء من أجل الحصول علىٰ منصب أو مقام. ولا ريب في أن مثل هذا العمل ليس وراءه من حافز إلاّ حبّ الدنيا؛ انطلاقاً من الحديث الشريف الذي يقول إنَّ: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»[١].

---

(١) الكافي، ج٢، ص١٣١ و٣١٧.

هذا الكتاب الذي بين يديك - عزيزي القارىء - واحد من المؤلفات الوفيرة التي جاد بها يراع المرحوم حجة الإسلام والمسلمين السيد جواد الأميري الأراكي، ويتناول فيه دراسة المنطلقات والحوافز التي توقع المرء في الذنوب والمعاصي، مستقياً جوهر كتاباته من ينبوع العلم الدافق؛ وهو أحاديث أهل بيت العصمة والطهارة. وبحث أربع عشرة علّة من العلل التي تنتهي بالمرء إلىٰ اقتراف الذنب، مع عرض لأساليب مكافحة تلك العلل مستشهداً بروايات وحكايات من التاريخ لتدعيم آرائه.

يمكن القول إن هذا الكتاب نادر أو فريد من نوعه، راجين أن ينتفع به القارىء الكريم ويهدي ثواب سورة الفاتحة لروح المرحوم المؤلف الذي انتقل إلى جوار ربّه في عام ١٣٥٩ عن عمر ٥١ سنة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

السيد جعفر الأميري

١ ـ البخل

نقل المرحوم المحدّث القُمّي (ره) عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال:

«البخل جامع لمساوىء العيوب وهو زمام يُقاد به إلىٰ كل سوء»[١].

وهذه حقيقة مجرّبة وبديهية. ومن يراجع كتب الأخلاق يجد أن الكثير من الرذائل تابعة للبخل. وقد روي عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال:

«الموبقات ثلاث: شُحٌّ[٢] مُطاع، وهوىٰ مُتّبع، وإعجاب المرء بنفسه»[٣].

وهناك آيات قرآنية كثيرة، وأحاديث وفيرة في ذم صفة البخل.

---

(١) نهج البلاغة، الكلمات القصار، ٣٧٨.

(٢) «شَحَّ ـ به ـ وعليه شَحّاً وشِحّاً وشُحّاً بَخِل وحَرِصَ: أقرب الموارد».

(٣) الخصال، ص ٨٤، بحار الأنوار، ج٧، ص٣٠٢.

ويكفي في قبح هذه الصفة ان البخيل لا يحظىٰ بمحبة أي إنسان في هذا العالم. والبخيل يكرهه حتىٰ أولاده ويتمنّون موته، ليمزّقوا في مأتمه ثيابهم الرّثة البالية ويلبسوا ثياباً من الحرير والديباج. وقد قال الحكماء في هذا المعنىٰ إن ذهب وفضّة البخيل تخرج من تحت التراب بعدما يوارىٰ هو في التراب. ثم انَّ البخيل لا يذكره أحد بعد موته؛ لأنَّه من لا يأكل طعام أحد في حياته لا يذكره بعد مماته. إذاً فالبخيل في دنياه ذليل ممقوت، وفي آخرته يواجه البلاء. وقد أجاد الشاعر تصوير هذا المعنىٰ بقوله:

مَن جادَ بالمال يميل الناس قاطبة   إليـه والمـال للإنسـان فتّـانُ

من كان منّاعاً للخير فليس له   في الحقيقة إخوان وأخدان

ونقل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لكل امرءٍ في ماله شريكان: الوارث والحادث»[1].

وورد عنه أيضاً حديث آخر مشابه لهذا وهو قوله: «بشّر مال البخيل بحادث أو وارث»[2]. إذاً فالعاقل هو من يبادر لإنفاق أمواله لآخرته قبل أن يستولي عليها شركاؤه وورثته. وقد قال الشاعر في وصف هذا المعنىٰ:

خذ من تراثك ما استطعتَ فإنّما   شركاؤك الأيام والوارث

ونظم شاعر آخر أبياتاً في ذم البخل ومدح الكرم، باللغة الفارسية، إليك في ما يلي معانيها باللغة العربية:

---

(١) نهج البلاغة، الكلمات القصار، ٣٣٥ (مع اختلاف).

(٢) عيون الحكم والمواعظ، ص ١٩٥.

كُل والبس وابذل وتنعّم فما في جمع المال من فائدة
الذهب والنعمة اليوم بين يديك لكنها بعد موتك خارج سلطانك
فتزوّد من دنياك لآخرتك حيث لا ينفع الأولاد والأزواج
تجرع همومك في الحياة فلن يأبه لك ذووك إن مت، بسبب بخلك
ولن يهتم أحد لأمرك ولا يحك جلدك كظفرك[١]

والحكماء يقولون اثنان ماتا وهما في حسرة: من كان له مال فبخل به، ومن كان له علم ولم يعمل به.

وانطلاقاً من هذه الرؤية فإنني أتوجَّه إليك بالنصح يا عزيزي أن لا تحرص على مال الدنيا واعلم بأنَّ المال إنما جعل في خدمة الحياة، ولم تجعل الحياة في سبيل المال.

وورد أن عاقلاً سُئِلَ: من السعيد ومن الشقي؟ فقال: السعيد من أكل وزرع، والشقي من مات وترك.

ونصح النبي موسى عليه السلام قارون بأن: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[٢] لكنه لم ينتصح، فكانت عاقبة بخله وجمعه المال ما قد علمت.

---

(١) أصل الشعر باللغة الفارسية هو كما يلي:

خور وبوش وبخشای وراحت رسان | نكه مى جه دارى زبهر كسان
زر ونعمت اكنون بدكان تست | كه بعد از تو بيرون زفرمان تست
تو باخود بر توشه خويشتن | كه شفقت نيايد زفرزندان وزن
غم خويش در زندكى خوركه خويش | بمرده نبردازد از حرص خويش
بغم خواركى جز سرانكشت تو | نخارد كسى در جهان بشت تو

(٢) سورة القصص، الآية: ٧٧.

وقال شاعر باللغة الفارسية أبياتاً لطيفة في هذا المعنىٰ، ننقل مضامينها في ما يلي إلىٰ اللغة العربية:

إنما يفوز في الدارين من يحسن إلىٰ عباد الله

إن الله يغفر لمن يكون النّاس منه في راحة

وإذا كان الكرم والندىٰ والجود مجرّد كلام فهو طبل أجوف

لا تطلبن العُلىٰ بالاكتناز فالماء يأسن بطول المكث

لقد أعمىٰ حب الدنيا قارون عن رؤية كنز السلامة في كنز المال[1]

---

(١) أصل الشعر باللغة الفارسية:

كسى نيك بيند بهردوسراى	كه نيكى رساند بخلق خداى

خدارا بر آن بنده بخشايش است	كه خلق از وجودش در آسايش است

كرامت جوانمردى ونان دهى است	مقالات بيهوده طبل تهى است

ز نعمت نهادن بنلدى مجوى	كه ناخوش كند آب ايستاده بوى

ندانست قارون دنيا برست	كه كنج سلامت بكخ اندراست

٢ ـ الطمع

رُوي عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال:

«ما أقبح بالمؤمن أن تكون له رغبة تذلّه»[١].

وجاء عن علي بن الحسين عليهما السلام أنَّه قال:

«رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عمّا في أيدي النّاس»[٢].

ونقل سعدان عن أبي عبد الله عليه السلام، «قال: قلت له: ما الذي يثبت الإيمان في العبد؟ قال: **الورع**، والذي يُخرجه منه؟ قال: **الطمع**»[٣].

(١) بحار الأنوار، ج٧٨، ص٣٧٤.

(٢) الكافي، ج٢، ص٣٢٣.

(٣) الكافي، ج٢، ص٣٢٣.

٣ ـ الحرص

وهذه أيضاً رذيلة أخرىٰ تدخل في باب دواعي الذنوب، وفضلاً عن ذلك فإنّها تُعتبر من أسس الكفر أيضاً. هنالك صفات مثل التكبر، والحسد، والحرص، والتعلق بالدنيا، والغضب، وحب الرئاسة لا تعتبر بحد ذاتها كفراً، ولكن بما أنّها تنتهي بالمرء أحياناً إلى الكفر، فهي تعتبر من أسس الكفر. فصفة الحرص مثلاً تؤدي بالمرء أحياناً إلىٰ ترك الأوْلىٰ. نشير مثلاً إلى أن صفة الحرص هذه هي التي دفعت آدم إلىٰ ترك الأولىٰ ودفعته إلىٰ اقتراف الذنب. ولكنها قد تبلغ ذروتها تارة أخرىٰ فتكون سبباً للكفر. وقد وردت في كتاب الكافي روايات في هذا المعنىٰ، نأتي في ما يلي بأمثلة منها:

عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام «أصول الكفر ثلاثة: الحرص، والاستكبار، والحسد، فأمّا الحرص فإنَّ آدم عليه السلام لمّا نهي عن الشجرة حمله الحرص علىٰ أن يأكل منها. وأمّا الاستكبار فإبليس حيث أُمر بالسجود لآدم فأبىٰ. وأمّا الحسد فابنا آدم حيث قتل أحدهما صاحبه»[1].

---

(١) الكافي، ج٢، ص٢٨٩.

صفة الحرص تنتهي بالمرء إلى نسيان الصلاة والغفلة عن ذكر الله واليوم الآخر. والحريص كلّما ازداد مغنمه ازداد جشعاً وحرصاً ومثله في ذلك كمثل الماء المالح كلما أكثر المرء من شربه ازداد عطشه. وما أجمل ما قاله الشاعر في هذا المعنىٰ:

عين الحريص لا تمتلىء والمحار ما لم يقنع لا يتكون فيه اللؤلؤ(١)

قال أحد كبار أعلام الشيعة في هذه الصفة:

صفة الحرص واحدة من شعب حب الدنيا، وهي من الصفات المهلكة والأخلاق المضلّة، بل هي صحراء قاحلة لا حدَّ لها أنىٰ سرت فيها لا تصل إلىٰ غايتك، وهي وادٍ لا نهاية له مهما سرت فيه لا تدرك غوره. مسكين من يبتلى بهذه الخصلة الخبيثة التي تنتهي بالمرء إلىٰ الهلاك والضلال، والمسكين الذي يقع في هذا الوادي لا خلاص له؛ وذلك لأن الحرص لا ينتهي عند حد ولا يقف في مكان. وهو حتىٰ إذا جمع جلَّ مال الدنيا يبقىٰ يفكّر في كيفية الحصول علىٰ الباقي. ومهما كثر ما بيده يزداد اندفاعه في شدّة طلب المزيد. فهو مريض ولا يدري، وهو أحمق ولا يعلم أنه كذلك. كيف لا! ونحن نرىٰ أنَّ الحريص يبلغ من العمر الثمانين ولديه من الأموال والأملاك ما يكفيه مائة سنة، ومع يقينه بأنّه لا يعمر أكثر من عشرين سنة أخرىٰ، غير أنّه يطمع في استزادة أمواله بدون أن يفكر في فائدة عمله هذا. فإن كانت هذه الأموال للإنفاق فإن ما لديه منها يكفيه طول حياته، وإن كان من

---

(١) أصل الشعر باللغة الفارسية هو:

كاسه چشم حريصان پر نشد تا صدف قانع نشد پر دُر نشد

باب الاحتياط خوفاً من فقدان ما لديه، فإن ما يكسبه سيؤول أيضاً إلىٰ ذات المصير. فإن لم يكن هذا المرض حمقاً فأي نوع من البلاء هو؟ وكل من يُبتلىٰ بهذا المرض من العسير عليه أن يتخلّص منه. ومن هنا فقد قال رسول الله ﷺ: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغىٰ لهما ثالثاً، ولا يملأ عين ابن آدم إلاّ التراب»[١] [٢].

روايات في ذم الحرص

رُوي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أغنىٰ النّاس من لم يكن للحرص أسيراً»[٣].

وسُئِلَ أمير المؤمنين عليه السلام: أي ذلٍ أذل؟ قال: «الحرص علىٰ الدنيا»[٤].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «منهومان لا يشبعان؛ منهوم عِلم ومنهوم مال»[٥].

وقال أيضاً عليه السلام: إن رسول الله ﷺ وصف علامات الشقاء بقوله: «مِن علامات الشقاء جمود العين وقسوة القلب وشدّة الحرص في طلب الرزق والإصرار علىٰ الذنب»[٦].

وقال عليه السلام في موضع آخر:

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج١٧، ص١٤.
(٢) معراج السعادة، ص٣٠٢.
(٣) الكافي، ج٢، ص٣١٦.
(٤) أمالي الصدوق، ص٤٧٨.
(٥) الخصال، ص٥٣.
(٦) الكافي، ج٢، ص٢٩٠.

«لا تحرص على شيء لو تركته لوصل إليك وكنت عند الله مستريحاً محموداً بتركه ومذموماً باستعجالك في طلبه وترك التوكّل عليه والرضا بالقسم، فإن الدُّنيا خلقها الله تعالى بمنزلة ظلّك إن طلبته أتعبك ولا تلحقه أبداً وإن تركته تبعك وأنت مستريح»[1].

وجاء عن علي عليه السلام أنّه قال في وصف الحريص:

«حرم الحريص خصلتين ولزمته خصلتان؛ حرم القناعة فافتقد الراحة، وحرم الرضا فافتقد اليقين»[2].

القناعة ضد الحرص

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«خمس من لم تكن فيه لم يتهنّ بالعيش: الصحّة، والأمن، والغناء، والقناعة، والأنيس الموافق»[3].

---

(١) مستدرك الوسائل، ج١٢، ص٦٠.
(٢) الخصال، ص ٦٩.
(٣) أمالي الصدوق، ص ٣٦٧.

٤ ـ التكبّر والفخر

قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «عجباً للمختال الفخور وإنَّما خلق من نطفة ثم يعود جيفة وهو فيما بين ذلك لا يدري ما يصنع»[١].

ونظم أحد الشعراء في هذا المعنىٰ أبياتاً جميلة المغزىٰ، وهي:

عجبت من فاخرَ بنخوته ... وكان من قبل نطفة مذرة

وفي غد بعد حسن صورته ... يصير في القبر جيفة قذرة

وهو علىٰ عجبه ونخوته ... ما بين جنبيه يحمل العذرة

وممّا يرویٰ في هذا المجال أنَّ رجلاً اسمه عقبة بن بشير الأسدي جاء إلىٰ الإمام أبي جعفر عليه السلام وقال له: أنا عقبة بن بشير الأسدي وأنا في الحسب الضخم من قومي، قال: فقال: «ما تمنَّ علينا بحسبك؟ إنَّ الله رفع بالإيمان من كان النّاس يسمّونه وضيعاً إذا كان مؤمناً ووضع بالكفر من كان النّاس يسمّونه شريفاً إذا كان كافراً، فليس لأحد فضل علىٰ أحد إلاَّ بالتقویٰ»[٢].

(١) الكافي، ج٢، ص٣٢٩.
(٢) الكافي، ج٢، ص٣٢٨.

ونُقل عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «آفة الحسب الافتخار»[1].

التواضع ضد التكبر

جاء في كتاب الكافي أنَّ النجاشي [ملك الحبشة] أرسل إلىٰ جعفر بن أبي طالب وأصحابه فدخلوا عليه وهو في بيت له جالس علىٰ التُّراب وعليه خُلقان الثياب. قال جعفر عليه السلام: فأشفقنا منه حينما رأيناه علىٰ تلك الحال. فلمّا رأىٰ ما بنا وتغيّر وجوهنا قال:

«الحمد لله الذي نصر محمداً وأقر عينه، ألا أبشركم؟...الخ». فقلت: بلىٰ أيها الملك. فأخبرهم بانتصار المسلمين علىٰ الكفار في معركة بدر. وعند ذاك سألوه عن سبب جلوسه علىٰ التراب فقال لهم: من حق الله علىٰ عباده أن يتواضعوا له عندما يُنعم عليهم. وإنّي تواضعت لله بسبب ما منَّ به عليّ من انتصار محمد صلى الله عليه وآله. فلمّا بلغ النبي صلى الله عليه وآله هذا الكلام قال لأصحابه:

«إن الصدقة تزيد صاحبها كثرة فتصدقوا يرحمكم الله، وإن التواضع يزيد صاحبه رفعة فتواضعوا يرفعكم الله، وإن العفو يزيد صاحبه عزّاً، فاعفوا يعزكم الله»[2].

---

(١) الكافي، ج٢، ص٣٢٩.

(٢) الكافي، ج٢، ص١٢١.

٥ ـ العُجب والغرور

من جملة العلل والأسباب التي توقع المرء في المآثم والذنوب هي العجب والغرور. ومن المعروف أن العجب محرم في الشريعة، وهو على أقسام هي:

١ ـ استعظام العمل والاغترار به وتجاهل الذنوب وقبائح الأعمال.

٢ ـ المنة على الله بالإيمان والعمل الصالح، كما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم﴾[1].

٣ ـ توهم العمل القبيح حسناً. كما ورد في قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٠)﴾[2].

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٠.

٤ ـ توهم النزاهة من التقصير والذنب.

وعلىٰ العموم فإن صفة العجب من المهلكات، وقد وردت روايات كثيرة في ذمّها. ومن ذلك ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «إن الله علم أن الذنب خير للمؤمن من العجب ولولا ذلك ما ابتلي مؤمن بذنب أبداً»[١].

وورد عنه أيضاً أنّه قال: «من دخله العجب هلك»[٢].

وقسّم الإمام أبو الحسن عليه السلام العجب إلىٰ درجات وأنواع، فقال:

«العجب درجات منها أن يزيّن للعبد سوء عمله فيراه حسناً فيعجبه ويحسب أنّه يحسن صنعاً. ومنها أن يؤمن العبد بربّه فيمنّ على الله عزّ وجلّ ولله عليه فيه المنّ»[٣].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام انّه قال: «إنَّ الرجل ليذنب الذنب فيندم عليه، ويعمل العمل فيسرّه ذلك فيتراخىٰ عن حاله تلك فلأن يكون علىٰ حاله تلك خير له مما دخل فيه»[٤]. ويفهم من هذا الحديث ذم العمل الذي يؤدي بالعبد إلى العجب.

وورد عنه أيضاً انّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «بينما موسى عليه السلام جالساً إذ أقبل إبليس وعليه برنس ذو ألوان. فلمّا دنا من

---

(١) الكافي، ج٢، ص٣١٣.

(٢) الكافي، ج٢، ص٣١٣.

(٣) الكافي، ج٢، ص٣١٣، (باب العجب).

(٤) الكافي، ج٢، ص٣١٣، (باب العجب).

موسى عليه السلام خلع البرنس وقام إلىٰ موسىٰ فسلّم عليه فقال له موسىٰ: مَن أنت؟ فقال: أنا إبليس. قال: فلا قرّب الله دارك. قال: إنّي إنّما جئت لأُسلّم عليك لمكانك من الله. فقال موسىٰ: فما هذا البرنس؟ قال: به اختطف قلوب بني آدم. فقال موسىٰ: فأخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه؟ قال: إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه»[1].

وقال: «قال الله عز وجل لداوود عليه السلام: يا داوود بشّر المذنبين وانذر الصديقين، قال: كيف أبشر المذنبين وأنذر الصدّيقين؟ قال: يا داوود بشّر المذنبين انّي أقبل التوبة وأعفو عن الذنب وانذر الصدّيقين ألا يعجبوا بأعمالهم فإنّه ليس عبد أنصبه للحساب إلاّ هلك»[2].

---

(١) الكافي، ج٢، ص٣١٤، (باب العجب).

(٢) الكافي، ج٢، ص٣١٤، (باب العجب).

٦ ـ سوء الأخلاق

قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «مَن قُسم له الخُرق حُجِب عنه الإيمان»[١].

وورد عنه أيضاً أنَّه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لو كان الخُرق خَلقاً يُرىٰ ما كان شيء ممَّا خلق الله أقبح منه»[٢].

وقال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «إنَّ سوء الخلق ليفسد العمل كما يُفسد الخَلُّ العسل»[٣].

وجاء عنه أيضاً أنَّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أبىٰ الله عز وجل لصاحب الخلق السيِّىء بالتوبة. قيل وكيف ذاك يا رسول الله؟ قال: لأنَّه إذا تاب عن ذنب وقع في ذنب أعظم منه»[٤].

---

(١) الكافي، ج٢، ص٣٢١، (باب الخرق).

(٢) الكافي، ج٢، ص٣٢١، (باب الخرق).

(٣) الكافي، ج٢، ص٣٢١، (باب سوء الخلق).

(٤) الكافي، ج٢، ص٣٢١، (باب سوء الخلق).

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «من ساء خلقه عذب نفسه»[1].

إنَّ سوء الأخلاق صفة تنبثق عنها الكثير من الذنوب مثل إيذاء الناس والإساءة إلىٰ عباد الله، وإيذاء النفس، ومناوأة الأقارب والعشيرة، وعقوق الوالدين، وإيجاد ما يؤدي إلىٰ حصول المفاسد.

حسن الأخلاق

وعلىٰ الضد من صفة سوء الأخلاق، حسن الأخلاق. ومن شأن حسن الأخلاق أن يحول دون الكثير من المآثم والذنوب كإيذاء النَّاس وإيجاد المفاسد. وهذه الصفة من أفضل الصفات وأحبّها، والكثير من الأعمال الصالحة يقوم علىٰ هذه الصفة ويبنىٰ علىٰ أساسها. وقد وصف الباري تعالىٰ رسوله بحسن الخلق وأثنىٰ عليه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2].

وأشار الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام إلىٰ هذه الصفة ضمن صفات أخرىٰ اعتبر توفّرها في الشخص دليلاً علىٰ كمال إيمانه، وذلك في قوله عليه السلام:

«أربع مَن كُنّ فيه كَمُل إيمانه وإن كان من قرنه إلى قدمه ذنوباً لم ينقصه ذلك، وهو: الصدق، وأداء الأمانة، والحياء، وحسن الخلق»[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن صاحب الخلق الحسن له مثل أجر الصائم القائم»[4].

---

(١) الكافي، ج٢، ص٣٢١، (باب سوء الخلق).

(٢) سورة القلم، الآية: ٤.

(٣) الكافي، ج٢، ص٩٩، (باب حسن الخلق).

(٤) الكافي، ج٢، ص١٠٠، (باب حسن الخلق).

وقال أيضاً: «أكثر ما تلج به أُمّتي الجنّة تقوىٰ الله وحسن الخلق»[1].

وله أيضاً: «إنَّ الخلق الحسن يميث الخطيئة كما تميث الشمس الجليد»[2].

وقال في هذا المعنىٰ أيضاً: «البر وحسن الخلق يعمّران الديار ويزيدان في الأعمار»[3].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

٧ ـ الخصومة والمراء

ومن الصّفات القبيحة التي تُفضي إلىٰ خلق الحقد والعداء والغضب والغيبة والمكر وتوقع المرء في الكثير من الذنوب والمآثم هي صفة الخصومة والمراء. فقد ورد عن أبي عبدالله عليه السلام حديث في وصف هذه الخصلة جاء فيه: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إيَّاكم والمراء والخصومة فإنّهما يمرضان القلوب علىٰ الاخوان ويّنبت عليهما النفاق»[1].

وورد عنه أيضاً أنَّه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «ثلاث من لقي الله عز وجل بهن دخل الجنَّة من أي باب شاء: من حسن خلقه، وخشي الله في المغيب والمحضر، وترك المراء وإن كان محقّاً»[2].

وقال أبو عبدالله عليه السلام: «لا تمارينَّ حليماً ولا سفيهاً؛ فإنَّ الحليم يقليك والسفيه يؤذيك»[3].

(١) الكافي، ج٢، ص٣٠٠، (باب المراء والخصومة).
(٢) المصدر السابق.
(٣) الكافي، ج٢، ص٣٠١، (باب المراء والخصومة).

ونقل عن أبي عبدالله أيضاً أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما كاد جبرائيل عليه السلام يأتيني إلاّ قال: يا محمّد اتّق شحناء الرجال وعداوتهم»[1].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إيّاكم والمشارّة فإنَّها تورث المعرّة وتظهر المعورّة»[2].

وعنه أيضاً: «إيّاكم والخصومة فإنَّها تشغل القلب وتورث النفاق وتكسب الضغائن»[3].

وعنه أيضاً: «من زرع العداوة حصد ما بذر»[4].

يقول ديل كارنغي في هذا المجال: إذا كانت لديك رغبة في الكمال وتروم التغلّب على الآخرين وتتعلّم طريقة اجتلابهم للانقياد إلىٰ رأيك فعليك بقراءة ما كتبه بنيامين فرانكلين عن نفسه؛ فقد شرح هذا الرجل في سيرته الذاتية كيفية تغلّبه علىٰ عادة قبيحة ورغبة عمياء في نفسه كانت تدفعه إلىٰ الجدال والخصومة والمراء إلىٰ أن أصبح تدريجياً واحداً من كبار الساسة الأمريكيين. وأصبح من حيث حسن الأخلاق ولطافة الطباع شخصية فريدة من نوعها في تاريخ أمريكا. وكان سبب ذلك أنَّه حينما كان شاباً غريراً اختلىٰ به أحد أصدقائه ذات يوم وكشف له عن صفات مقيتة في شخصيته وجوانب سيّئة في أخلاقه قائلاً له بأنَّك شابّ متمرّد إذا التقيت بشخص لا يتّفق معك في الرأي فإنَّك لا

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق، ص٣٠٢.

(٤) المصدر السابق.

تتورع عن مهاجمته بعنف وضراوة، وترد علىٰ بعض بجواب لا يقلّ عن الصفعة واللكمة. وهذا ما يجعل الناس ينفرون منك ويدفع الأصدقاء إلىٰ ترجيح البعد عنك علىٰ القرب منك. وأنت تدرك أفضل من أي شخص آخر أن أحداً لا يقدم خطوة واحدة علىٰ طريق إصلاح سلوكك المشين هذا؛ لأن مثل هذا العمل لا تثمر عنه أيّة نتيجة وهو أشبه ما يكون بدق المسمار في الحجر. وهذا يعني عدم وجود أي سبيل لزيادة معلوماتك، وكل أبواب التجربة والتقدّم مغلقة أمامك. والحقيقة هي انك لست علىٰ شيء من الأهمية، وآراؤك كلها تافهة.

الأمر الجدير بالاهتمام في هذه القصة هو ترحيب فرانكلين بهذه النصائح المرة والانتقادات اللاذعة واستقباله لها. وكان علىٰ درجة من الإنصاف الفكري بحيث أذعن بأنَّه كان مستحقاً لذلك اللوم والتقريع، وانه إذا لم يبادر إلىٰ إصلاح سلوكه فلا يستبعد أن تحل به كارثة. وهكذا غيّر مسار حياته فجأة وعزم علىٰ إزالة ما فيه من عيوب ونواقص. وكتب في هذا المجال ما يلي:

وضعت نصب عيني مبدأً واضحاً وهو أن لا أقف أمام آراء خصمي موقف الند الصريح وأن لا أعرض آرائي وأفكاري بشكل قاطع، ولا أستعمل في كلامي ألفاظاً تحمل معنىٰ الجزم؛ فتعودت علىٰ سبيل المثال أن لا أستخدم ألفاظاً من قبيل: من المؤكد، لا شك، وما شابه ذلك، بل بالعكس أستخدم في كلامي ألفاظاً تحمل معاني المرونة والحلاوة مثل : أعتقد، وأتصور، وعلىٰ حد علمي، وما إلىٰ ذلك.

وبعد ذلك الموقف كلما بيّن شخص أفكاراً مغلوطة أمامي، وجدت نفسي قادراً علىٰ عدم تكذيب آراءه بصراحة أو الرد عليه بقسوة، ولا

أكشف له عن نقاط ضعفه وجهاً لوجه، وإنما كنت أدخل معه الحوار تدريجياً وأقول له إن وجهة نظرك هذه قد تكون صحيحة في حالات أخرىٰ، غير أن رأيك هذا يحيد عن الحقيقة في هذه الحالة حسب ظنّي.

لم تمض مدّة طويلة حتىٰ تكشفت لي فوائد هذا الأسلوب من التعامل مع النّاس وأصبحت علاقاتي مع الآخرين أحسن وأطيب. وأصبحت الآراء التي أطرحها بهدوء وبلا تظاهر أكثر قبولاً وأقل معارضة من قبل الآخرين. وفضلاً عن ذلك أصبحت لا أشعر بكثير من الأذىٰ في حالات الخطأ والزلل. وهكذا أصبحت قادراً على استمالة المقابل إلىٰ أفكاري وأمهد له الأجواء لقبول آرائي[1].

وهناك قصّة أخرىٰ في هذا المجال وهي أن أحد مشاهير المحامين في نيويورك واسمه بسي همبورغر قضىٰ احدىٰ عشرة سنة من عمره في محكمة العلاقات العائلية في نيويورك ودرس آلاف الملفات المتعلّقة بقضايا الطلاق، وخرج بنتيجة مفادها أن السبب الرئيسي لأكثر حالات الطلاق وتشتت شمل الأسرة يعود إلىٰ أن الرجال ضاقوا ذرعاً من كثرة خصومة ونزاع زوجاتهم فتركوا أُسرهم.

وكتب أحد الكتّاب عن هذه الظاهرة ما يلي:

إن الكثير من النساء يحفرن بأيديهن قبر سعادة حياتهن الزوجية. وإذا أرادت إحداهن الحفاظ علىٰ سعادة الحياة الزوجية فما عليها إلاّ أن تتّبع هذه القاعدة وهي: إياك والخصومة والنزاع[2].

---

(١) آئين دوستيابى (باللغة الفارسية) (أصول الصداقة)، ص١٥٠.

(٢) المصدر السابق، ص٢٩٣.

٨ ـ الغضب

تأتي الكثير من الذنوب مثل القتل، والجرح، والغيبة، والتهمة، والصراعات الدموية نتيجة لنار الغضب. وهذه النار إذا لم يُسيطر عليها ولم تُطفأ بماء الحلم والصبر والتحمل لا يعوقها عندئذ أي عائق عن إحراق بيت الإيمان، وحتىٰ انَّ دخانها يعتّم علىٰ نار العقل ويملأ القلب ظلاماً.

وقد وردت في كتب الحديث روايات كثيرة عن هذه الخصلة الذميمة، نورد فيما يلي مقتطفات منها:

١ ـ نقل القاسم بن سليمان عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنَّه قال: سمعت أبي يقول: «أتىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله رجل بدوي فقال: إنّي أسكن البادية فعلّمني جوامع الكلم، فقال: آمرك أن لا تغضب. فأعاد عليه الأعرابي المسألة ثلاث مرّات حتىٰ رجع الرجل إلىٰ نفسه، فقال: لا أسأل عن شيء بعد هذا. ما أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ بالخير. قال: وكان أبي يقول: أي شيء أشد من الغضب؛ إن الرجل ليغضب فيقتل النفس التي حرّم الله ويقذف المحصنة»[1].

---

(١) الكافي، ج٢، ص٣٠٣، (باب الغضب).

٢ ـ نقل داوود بن فرقد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «الغضب مفتاح كل شر»[١].

٣ ـ نقل سيف بن عميرة عمن سمع الإمام الصادق عليه السلام يقول: «مَن كفّ غضبه ستر الله عورته»[٢]. وذلك لأنَّ الإنسان إذا غضب تظهر عيوبه، ويكشف النقاب عندما يغضب عن أسراره وكوامن نفسه.

٤ ـ ورد عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: «مكتوب في التوراة فيما ناجىٰ الله عزَّ وجلّ به موسىٰ عليه السلام: يا موسىٰ أمسِك غضبك عمّن ملّكتُك عليه أكف عنك غضبي»[٣].

٥ ـ روي عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنّه قال: «قال رجل للنّبي صلى الله عليه وآله: يا رسول الله علّمني. قال: اذهب ولا تغضب. فقال الرجل: قد اكتفيت بذاك. فمضىٰ إلى أهله فإذا بين قومه حرب قد قاموا صفوفاً ولبسوا السّلاح. فلمّا رأىٰ ذلك لبس سلاحه، ثم قام معهم، ثم ذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله «لا تغضب»، فرمىٰ السَّلاح. ثمَّ جاء يمشي إلى القوم الذين هم عدو قومه، فقال: يا هؤلاء! ما كانت لكم من جراحة أو قتل أو ضرب ليس فيه أثر، فَعَليّ في مالي أنا أوفيكموه. فقال القوم: فما كان فهو لكم، نحن أولىٰ بذلك منكم. فاصطلح القوم وذهب الغضب»[٤].

٦ ـ ونقل عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً أنّه قال: «إن في التوراة

---

(١) الكافي، ج٢، ص٣٠٣، (باب الغضب).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق، ص٣٠٤.

مكتوباً: يابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك عند غضبي، فلا أمحقك فيمن أمحق. وإذا ظُلمت بمظلمة فارض بانتصاري لك، فإن انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك»[١].

٧ ـ قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «إن هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم. وإن أحدكم إذا غضب احمرّت عيناه وانتفخت أوداجه ودخل الشيطان فيه. فإذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليلزم الأرض، فإنّ رجز الشيطان ليذهب عنه عند ذاك»[٢].

٨ ـ قال أبو عبدالله عليه السلام: «الغضب ممحقة لقلب الحكيم».

وقال عليه السلام أيضاً: «مَن لمْ يكن يملك غضبه لمْ يملك عقله»[٣].

٩ ـ عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَن كفّ نفسه عن أعراض الناس أقال الله نفسه يوم القيامة. ومَن كفّ غضبه عن الناس كفّ الله تبارك وتعالىٰ عنه عذاب يوم القيامة»[٤].

يقول علماء النفس إن الغضب يسدّ شهية الإنسان، ويصيبه بعسر الهضم، ويضاعف نبض القلب، ويضرّ جميع النظام الوظيفي للجسم، ويخلق اضطراباً شديداً في النظام العصبي.

جاء في القصص القديمة أن قطرة عسل واحدة تجتذب إليها الذباب أكثر مما يجتذبه طن من السم.

---

(١) الكافي، ج٢، ص٣٠٤، (باب الغضب).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٠٥.

(٤) المصدر السابق.

فإذا أردت استمالة الآخرين ودفعهم إلىٰ الاعتقاد بآرائك عليك أن توحي لأحدهم بأنّك صديق مخلص له. وهذه هي قطرة العسل التي ستجتذبه إليك. واستمالة القلوب هي الأسلوب الوحيد لإنجاح هذه المهمة؛ وذلك لأنّ القلب هو المنفذ الذي يمكن من خلاله التوغّل إلىٰ الفكر[1].

كظم الغيظ ومعالجة الغضب

يتوقف كظم الغيظ ومعالجة حالة الغضب علىٰ عوامل متعددة، نأتي فيما يلي علىٰ إعطاء نبذة مختصرة عن كل واحد منها:

الأول: إنهاء الجذور الأساسية للغضب كالجدال، والنزاع، والمزاح، وما شابه ذلك.

الثاني: التفكير في عواقب الغضب وفي النتائج الوخيمة التي تتمحض عنه، إضافة إلىٰ النظر في النتائج الدنيوية والأخروية الحميدة للحلم وكظم الغيظ.

الثالث: الانتباه إلىٰ أن الغضب يأتي بسبب وهن النفس وضعف الإرادة وكل من يتصف بهذه الصفات لا يملك زمام نفسه.

الرابع: أن يستعيذ بالله علىٰ الدوام من شر الشيطان ومن النفس الأمّارة.

الخامس: الإيحاء إلىٰ النفس بالحلم والصبر.

السادس: التفكّر في شدّة عذاب الآخرة.

---

(١) آئين دوستيابى (أصول الصداقة)، ص١٦٧.

قال الباري تعالىٰ في قرآنه الكريم في وصف المتّقين:

﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1].

وقد وردت أحاديث وروايات كثيرة في فضل كظم الغيظ، ننقل في ما يلي بعضاً منها:

١ ـ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ما من عبد كظم غيظاً إلا زاده الله عز وجل عزاً في الدنيا والآخرة»[2].

٢ ـ عن أبي جعفر عليه السلام قال: «مَن كظم غيظاً وهو يقدر على إمضائه حشا الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة»[3].

٣ ـ روي عن أبي عبدالله عليه السلام أنَّه قال: «نعم الجرعة الغيظ لمن صبر عليها، فإنّ عظيم الأجر لمن عظيم البلاء وما أحب الله قوماً إلاّ ابتلاهم»[4].

٤ ـ قال أبو عبدالله عليه السلام: «ما مِن جرعة يتجرّعها العبد أحب إلىٰ الله عز وجل من جرعة غيظ يتجرّعها عند ترددها في قلبه أمّا بصبر وأمّا بحلم»[5].

٥ ـ عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنَّ الله عز وجل يحب الحيّي الحليم»[6].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

(٢) الكافي، ج٢، ص١١٠، (باب كظم الغيظ).

(٣) المصدر السابق، ص١٠٩.

(٤) المصدر السابق، ص١٠٩ .

(٥) المصدر السابق ص١١١.

(٦) المصدر السابق ص١١٠.

٦ ـ قال رسول الله ﷺ: «ما أعزّ الله بجهلٍ قط وما أذلّ بحلم قط»[1].

٧ ـ بعث أبو عبدالله عليه السلام غلاماً له في حاجة فأبطأ، فخرج أبو عبدالله عليه السلام في أثره لما أبطأ، فوجده نائماً، فجلس عند رأسه يروّحه حتىٰ انتبه، فقال له أبو عبدالله عليه السلام: «يا فلان والله ما ذلك لك، تنام الليل والنهار، لك الليل ولنا منك النهار»[2].

٨ ـ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من لم يَكُنَّ فيه لم يتم له عمل: ورع يحجزه عن معاصي الله، وخُلُق يداري به النّاس، وحلم يردُّ به جهل الجاهل»[3].

ويكفي في شرف الحلم أنّه لا ينفع العِلمُ بدونه، ولذا كلّما يُمدح العلم أو يُسأل عنه يقارن به.[4]

٩ ـ روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «اللهمّ اغنني بالعلم وزيّنّي بالحلم»[5].

١٠ ـ ورُوي عنه ﷺ أنّه قال: «إذا جمع الخلائق يوم القيامة نادىٰ منادٍ: أين أهل الفضل؟ فيقوم عنق من الناس فينطلقون سراعاً إلىٰ الجنَّة فتتلقّاهم الملائكة، فيقولون: إنا نراكم سراعاً إلىٰ الجنَّة؟ فيقولون: نحن أهل الفضل، فيقولون: ما كان فضلكم؟

---

(١) الكافي، ج٢، ص١١٢، (باب الحلم).

(٢) الكافي، ج٢، ص١١٢، (باب الحلم).

(٣) الكافي، ج٢، ص١١٦، (باب المداراة).

(٤) جامع السعادات، ج١، ص٢٩٦.

(٥) كنز العمال، ج٢، ص١٨٥.

فيقولون: كنا إذا ظُلِمنا صبرنا، وإذا أسيء إلينا عفونا، وإذا جهل علينا حلمنا. فيقال لهم: ادخلوا الجنَّة فنعم أجر العاملين»[١].

قصّة عن حلم الإمام الكاظم (ع):

يروىٰ أنَّ رجلاً من ولد عمر بن الخطاب كان بالمدينة يؤذي أبا الحسن موسىٰ عليه السلام ويسبّه إذا رآه ويشتُم علياً عليه السلام. فقال له بعض جلسائه يوماً: دعنا نقتل هذا الفاجر. فنهاهم عن ذلك أشد النهي وزجرهم أشد الزجر.

وسأل ذات يوم عن ذلك العمري فذكر أنَّه يزرع بناحية من نواحي المدينة. فركب فوجده في مزرعة، فدخل المزرعة بحماره، فصاح به العمري: لا توطىء زرعنا. فتوطّأه أبو الحسن عليه السلام بالحمار حتىٰ وصل إليه فنزل وجلس عنده وباسطه وضاحكه، وقال له: كم غرمت في زرعك هذا؟ فقال له: مائة دينار. قال: وكم ترجو أن تصيب فيه؟ قال: لست أعلم الغيب. قال: إنَّما قلت كم ترجو أن يجيئك فيه؟ قال: أرجو فيه مائتي دينار. قال: فأخرج له أبو الحسن صُرّة فيها ثلاث مائة دينار وقال: هذا زرعك علىٰ حاله، والله يرزقك فيه ما ترجو. فقام العمري فقبّل رأسه وسأله أن يصفح عن فارطه. فتبسم إليه أبو الحسن عليه السلام وانصرف.

وذهب الإمام عليه السلام في يوم آخر إلىٰ المسجد فوجد العمري جالساً. فلمَّا نظر إليه قال: الله أعلم حيث يجعل رسالاته. فوثب أصحابه إليه فقالوا: ما قصّتك؟ قد كنت تقول غير هذا. فقال لهم: قد

---

(١) التحفة السنية، ص٤٦.

سمعتم ما قلت الآن. وجعل يدعو لأبي الحسن عليه السلام فخاصموه وخاصمهم. فلمّا رجع أبو الحسن عليه السلام إلىٰ داره، قال لجلسائه الذين سألوه في قتل العمري: أيما كان خيراً ما أردتم أو ما أردت؟ انني أصلحت أمره بالمقدار الذي عرفتم وكفيت به شرّه.[1].

درس في الحلم والأخلاق من الإمام الصادق (ع)

أتىٰ رجل أبا عبدالله عليه السلام فقال: إنَّ فلاناً ـ ابن عمّك ـ ذكرك، فما ترك شيئاً من الوقيعة والشتيمة إلاّ قاله فيك. فقال أبو عبدالله عليه السلام للجارية: ايتيني بوضوء، فتوضّأ ودخل، فقلت في نفسي يدعو عليه. فصلّىٰ ركعتين. فقال: يا رب هو حقّي قد وهبته له، وأنت أجود منّي وأكرم فهبه لي ولا تؤاخذه بي ولا تقايسه. ثم رقّ فلم يزل يدعو فجعلتُ أتعجّب[2].

محاورة المفضّل مع ابن أبي العوجاء

قال المفضل بن عمر: كنت ذات يوم جالساً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فسمعت ابن أبي العوجاء يقول لأحد أصحابه كلمات فيها كفر صريح، فلم أملك نفسي غضباً وغيظاً وقلت: يا عدو الله ألْحَدْتَ في دين الله وأنكرت الباري جلَّ قدسه.. فقال ابن أبي العوجاء: يا هذا إن كنت من أهل الكلام كلّمناك، فإن ثبتت لك الحجة تبعناك، وإن لم تكن منهم فلا كلام لك. وإن كنت من أصحاب جعفر بن محمَّد الصادق فما هكذا تخاطبنا، ولا بمثل دليلك تجادل

(١) الإرشاد، ج٢، ص٢٣٣.

(٢) مشكاة الأنوار، الطبرسي، قم، دار الحديث، ص٣٨٠.

فينا، ولقد سمع من كلامنا أكثر ممَّا سمعت فما أفحش في خطابنا ولا تعدّىٰ في جوابنا وانه الحليم الرزين، العاقل الرصين، لا يعتريه خرق، ولا طيش ولا نزق، يسمع كلامنا، ويصغي إلينا، ويتعرّف حجَّتنا بكلام يسير وخطاب قصير يلزمنا به الحجَّة، ويقطع العذر، ولا نستطيع لجوابه رداً، فإن كنت من أصحابه فخاطبنا بمثل خطابه[1].

---

(١) توحيد المفضل، ص٦.

٩ ـ الحسد

الآيات القرآنية الواردة في الحسد

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾[1].

علىٰ الرغم من أن بعض علماء اليهود والنصارىٰ كانوا يعرفون الرسول ﷺ حقّ معرفته بعدما رأوا صفاته وعلائمه في كتبهم السماوية، إلاّ أنهم كتموا هذه الحقيقة وظل اليهود والنصارىٰ يواصلون مساعيهم لرد المسلمين إلىٰ الكفر، ودأبوا منذ بزوغ فجر الإسلام علىٰ إطفاء نوره، واستخدموا شتّىٰ الأساليب من أجل تحقيق هذه الغاية؛ فهم تارة يرسلون فرق التبشير ويبنون المدارس التي تدعو إلىٰ ديانتهم، ويعملون تارة أخرىٰ علىٰ نشر الفساد والفحشاء والدعوة إلىٰ التحلل وإشاعة الاختلافات بيننا نحن المسلمين، ولا يتورعون عن السعي لاستمالة المسلمين إلىٰ المسيحية واليهودية. ومن المؤسف أنهم نجحوا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

في تحقيق بعض مآربهم وتمكنوا من زعزعة روح الغيرة والإيمان والإرادة لدىٰ مجموعة من الشبّان، وزرعوا بذلك لهم قواعد في بلداننا وأخذوا يسوقون الشباب نحو الرذيلة والانحطاط الأخلاقي.

وجاء في آية أخرىٰ:

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾[1].

في هذه الآية يحذّر الباري تعالىٰ المسلمين من الطبيعة الخبيثة والمنافقة للكفّار، ويدعوهم إلىٰ الوعي والحذر وعدم الانسياق وراءهم والوقوع في حبائلهم وخداعهم، وأن لا يثقوا بهم، ولا يوكلوا إليهم مصيرهم ومستقبل دينهم؛ وذلك لأنهم يبدون المودّة في الظاهر بينما قلوبهم مليئة حقداً وكراهية وحسداً.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾[2].

لقد أساء اليهود كثيراً إلىٰ نبي الله عيسىٰ عليه السلام وإلىٰ أمّه العذراء مريم، وانتهىٰ بهم الأمر إلىٰ صلب عيسىٰ المسيح. ولكننا نرىٰ اليوم أنَّ اليهود والنصارىٰ اتّحدوا ضد المسلمين، واغتصب اليهود أراضي

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١١٨ و١١٩.

المسلمين وشرّدوا أهالي تلك الأراضي في البوادي، وساندهم المسيحيون في أعمالهم الإجرامية هذه.

وهذه حقيقة أزاح القرآن عنها النقاب قبل ألف وأربعمائة سنة.

وصرّح القرآن أيضاً في هذا المعنىٰ بأنَّ المسلمين إذا تمسّكوا بالتقوىٰ والاستقامة لا تضرّهم مكائد هؤلاء الأعداء. ولكن مما يثير الأسىٰ والأسف هو أنّ المسلمين فقدوا روح الإيمان والتقوىٰ، وتأثرت أخلاقهم وسلوكهم بالمفاهيم الغربية إلىٰ حدٍّ بعيد. وهذا هو السبب الذي جعل مليار مسلم غير قادرين علىٰ القضاء علىٰ عدّة آلاف من اليهود. وصدق سماحة الإمام الخميني سلّمه الله تعالىٰ حين قال: لو اتحد المسلمون وسكب كل واحد منهم دلو ماء علىٰ إسرائيل لجرفها السّيل. غير أن الاختلاف والفرقة أدّيا إلىٰ غلبة تلك الأقلية على المسلمين.

وجاء في آية قرآنية أخرىٰ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾[1]. ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾[2].

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾[3].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[1].

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾[2].

﴿۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[3].

نار الحسد

وهذا هو أول قتل وقع على الأرض بين بني آدم، وكان دافعه الحسد. ويُفهَم من هذه القصّة ان عاقبة الحسد قاتلة، حتى أنَّ الأخ يلطخ يده بدم أخيه بسبب الحسد:

﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾[4].

---

(١) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٢) سورة الفلق.

(٣) سورة المائدة، الآيات: ٢٧ ـ ٢٩.

(٤) سورة المائدة، الآيتان: ٣٠ و٣١.

عندما اشتعل أوار الحسد في نفس ابن آدم ضد أخيه، بدأ عنصران متضادان يصطرعان في نفسه؛ فمن جهة كانت مشاعر الحسد تعتمل في نفسه وتدفعه إلى قتل أخيه، ومن جهة أخرىٰ كانت عاطفة الأخوة والضمير الإنساني تنهاه عن ارتكاب هذا العمل، وهكذا أصبح علىٰ مفترق طريقين، طريق الجنّة وطريق النار. وفي ختام المطاف أسدل الدخان المتصاعد من نار الحسد ستاراً سميكاً علىٰ ضميره وأغلق عليه منافذ بصيرته وتغلبت عليه نفسه الأمّارة وفعل تلك الفعلة الشنيعة وأصبح مخلداً في عذاب النار.

فهل الدنيا علىٰ هذه الدرجة من القيمة بحيث تدفع المرء إلىٰ أن يحسد شخصاً آخر من أجل الجاه والرئاسة والمال والثروة، مع العلم بأنَّ الحاسد والمحسود سيفارقان هذه الدنيا سريعاً.

دافع الحسد شهوات الدّنيا وأمانيها

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦)﴾[1].

وقد قال الشاعر باللغة الفارسية ما معناه:

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٤ ـ ١٦.

انهض وودّع الأيام ولا تتّبع هذه الصفة الرذيلة

تجاهل الدنيا واترك الهموم وابتعد عن التعقيدات وعش مسلماً

واجعل حياتك أفضل من هذه وافتح لك نافذة نحو الحياة أفضل من هذه[1]

الحسد في الروايات

١ ـ روي أن الإمام أبا عبدالله الصادق عليه السلام قال: «الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النّار الحطب»[2].

٢ ـ وجاء عنه في رواية أخرىٰ: «كاد الفقر أن يكون كفراً، وكاد الحسد أن يغلب القدر»[3].

٣ ـ «آفة الدين الحسد والعُجْبُ والفخر»[4].

٤ ـ جاء في باب الحسد في المجلد الثاني من كتاب الكافي عن داوود الرقّي قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «اتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً، إنَّ عيسىٰ ابن مريم كان من شرائعه السيح في البلاد؛ فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثير اللزوم لعيسىٰ عليه السلام فلمّا انتهىٰ عيسىٰ إلىٰ البحر قال: بسم الله، علىٰ صحة

---

(١) أصل هذا الشعر بالفارسية هو:

خيز ووداعى بكن ايام را | از بى دانه مكش اين دام را
خط بجهان در كش وبيغم بزى | دور شو از دور ومسلم بزى
مملكتى بهتر از اين ساز كن | خوشتر از اين حجره درى باز كن

(٢) الكافي، ج٢، ص٣٠٦، (باب الحسد).

(٣) الكافي، ج٢، ص٣٠٧، (باب الحسد).

(٤) المصدر السابق.

يقين منه فمشىٰ علىٰ الماء وأنا أمشي علىٰ الماء ولحق بعيسىٰ عليه السلام فدخله العجب بنفسه، فقال: هذا عيسىٰ روح الله يمشي علىٰ الماء وأنا أمشي علىٰ الماء، فما فضله عليَّ؟ قال: فرمَسَ في الماء فاستغاث بعيسىٰ عليه السلام فتناوله من الماء فأخرجه ثم قال له: ما قلت يا قصير؟ قال: قلت: هذا روح الله يمشي علىٰ الماء وأنا أمشي علىٰ الماء فدخلني من ذلك عجب.

فقال له عيسىٰ: لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه، فمقتك علىٰ ما قلت، فتُب إلىٰ الله عزّ وجل مما قلت. قال: فتاب الرّجل وعاد إلىٰ مرتبته التي وضعه الله فيها. فاتّقوا الله ولا يحسدنَّ بعضكم بعضاً»[1].

٥ ـ وروي عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «قال الله عز وجل لموسىٰ بن عمران عليه السلام: يابن عمران لا تحسدنَّ الناس علىٰ ما آتيتهُم من فضلي ولا تمدّنَّ عينيك إلىٰ ذلك ولا تتبعه نفسك، فإنَّ الحاسد ساخط لنعمي، صادٌ لقسمي الذي قسمتُ بين عبادي، ومن يكُ كذلك فلستُ منه وليس مني»[2].

٦ ـ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن المؤمن يغبط ولا يحسد والمنافق يحسد ولا يغبط»[3].

٧ ـ وقال أيضاً: «ليست لبخيل راحة ولا لحسود لذّة»[4].

---

(١) الكافي، ج٢، ص٣٠٦، (باب الحسد).

(٢) المصدر السابق، ص٣٠٧.

(٣) الكافي، ج٢، ص٣٠٧، (باب الحسد).

(٤) من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٣٩٤.

٨ ـ وعنه أيضاً عن أبيه عليه السلام قال: «لا يؤمن رجل فيه الشح والحسد والجبن»[1].

٩ ـ وورد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قال لقمان لابنه: للحاسد ثلاث علامات يغتاب إذا غاب ويتملّق إذا شهد ويشمت بالمصيبة»[2].

١٠ ـ وعنه أيضاً عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتعوّذ في كل يوم من ست: من الشك، والشرك، والحميّة، والغضب، والبغي، والحسد»[3].

١١ ـ وجاء في كتاب «تحف العقول» ضمن ما أوصىٰ به الإمام الصادق عليه السلام مؤمن الطاق أنّه قال له: «والله لو قدّم أحدكم ملء الأرض ذهباً علىٰ الله ثم حسد مؤمناً لكان ذلك الذهب مما يكوىٰ به في النّار»[4].

١٢ ـ وقسّم الإمام الصادق عليه السلام الحسد إلىٰ نوعين، فقال: «الحسد حسدان: حسد فتنة، وحسد غفلة. فأمّا حسد الغفلة فكما قالت الملائكة حين قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[5]، أي اجعل ذلك الخليفة منّا، ولم يقولوا حسداً لآدم من جهة الفتنة والرد والجحود. والحسد الثاني الذي يصير به العبد إلىٰ الكفر

---

(١) الخصال، ص٢٧١.

(٢) بحار الأنوار، ج١، ص١٢٨.

(٣) المصدر السابق، ج٦٩، ص١٢٦.

(٤) تحف العقول، ص٣٠٩.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

والشرك فهو حسد إبليس في ردّه علىٰ الله وإبائه عن السجود لآدم عليه السلام»[1].

أسباب الحسد

١ ـ سوء السريرة:

هنالك أشخاص يحسدون الآخرين ويتمنون زوال النعمة عنهم من غير سبب. وهذه الخصلة تنم عن خبث الطينة وسوء السريرة. وعلاج هذا النوع من الحسد عسير. وقد أجاد الشاعر الذي قال في هذا المعنىٰ:

كل العداوة قد يُرجىٰ إماتتها ... إلاّ عداوة من عاداك من حسدِ

٢ ـ العجب والغرور:

وهذه أيضاً واحدة من الصفات الخبيثة والمهلكة؛ وذلك أن المغرور معجب بذاته ويستمرىء كل عمل يصدر منه ولا يطيق رؤية أحد أفضل منه، فإذا رأىٰ أحداً أفضل منه ويقدّره النّاسُ أكثر من تقديرهم له يضمر له العداء ويحسده على مكانته. وأكثر ما تلاحظ هذه الصفة لدىٰ النساء، ولدى المغرورين وذوي النفوس الضعيفة من الرجال.

٣ ـ الحقد والبغضاء:

يتمنىٰ أكثر الناس لعدوهم البلاء والمصائب، وإذا حلّت به مصيبة يشعرون بالفرح والارتياح، وإذا مات يسرّهم موته، في حين أن الموت

---

(١) تحف العقول، ص٣٧١ (طبعة دار الكتب الإسلامية).

مكتوب علىٰ الجميع، والمصائب تحل بجميع الناس. وقد قال الشاعر في هذا المعنىٰ:

إذا مررت على جدث العدو لا تفرح فإنَّ ما يجري عليه سيجري عليك..

والعداء يكون مذموماً وداعياً إلىٰ الحسد فيما لو كان لأغراض شخصية ولأُمور ماديّة ودوافع الهوىٰ. لكن بغض أعداء الله وأعداء الحق صفة حسنة ومن الصفات الضرورية التي يجب أن يتحلّىٰ بها كل مؤمن؛ وذلك لأنَّ التولّي والتبرّي من أوجب الفرائض، وهو يعني محبّة أولياء الله والتبرّي من أعداء الله. ومثل هذا التبرّي والكراهية والبغضاء لا صلة له بالحسد، ولا هو نابع من دواعي الحسد.

٤ ـ التكبّر والفخر:

أمّا الحسد الموجود لدىٰ معظم رؤوس الكفر فهو نابع من التكبّر كما هو الحال بالنسبة لأبي جهل الذي بقي يسعىٰ حتىٰ الأنفاس الأخيرة من حياته لإطفاء نور الرسول ﷺ، وكانت هذه الصفة نابعة مما كان يحمله من خصال التكبّر والفخر. وهذه هي الصفات التي كانت تدعو كفّار قريش إلىٰ القول:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾[١].

٥ ـ حب الدُّنيا:

ومن الأمور الأخرىٰ الداعية إلىٰ الحسد، حب الدُّنيا والتعلّق

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣١.

الشديد بها؛ وذلك لأنَّ الناس لا يشبعون من الدنيا وما فيها من المال والثروة والجاه والزينة وكثيراً ما يتنازعون عليها ويتهافتون علىٰ نيلها ويحسد بعضهم بعضاً علىٰ ما نال منها. ولكن نيل رضا الله واكتساب الثواب والحصول علىٰ الدرجات الرفيعة في الآخرة والتحلّي بالفضائل ومكارم الأخلاق لا يوجد فيها أي تزاحم. ومن هنا فهي لا تكون موضع تزاحم ومنافسة، على اعتبار أن الدنيا دار التزاحم والآخرة لا تزاحم فيها.

وهذا هو الأساس الذي يميّز في ضوئه بين العالم الربّاني، والعالم بلا عمل. فمن يبتغي طلب العلم لوجه الله لا يضمر في نفسه التفوق علىٰ غيره في كسب المادة وحب الرئاسة وما شابه ذلك. بينما من يطلب العلم للدنيا لا يتورع عن منافسة أنداده والرغبة في التفوق عليهم. ولهذا السبب تفهم أن الأنبياء لا يتحاسدون، ولكن الرؤساء وأصحاب المناصب والتّجار وعلماء السوء يتحاسدون.

من غرائب قصص الحسد:

روي أن رجلاً من البادية كان يغشىٰ المعتصم العباسي، ويقوم بإزائه ويقول: أحسن إلىٰ المحسن وتكفي المسيء إساءته. وأصبحت لديه منزلة عنده حتىٰ أنَّه كان يأذن له بالدخول عليه في الليل والنهار. وكان للخليفة وزير شحيح النفس، فحسد البدوي علىٰ تلك المنزلة مخافة علىٰ منصبه ومكانته عند الخليفة؛ فأراد الإيقاع به وسعىٰ به عند الخليفة وقال له: إن هذا الذي يقوم بإزائك ويقول ما يقول، يزعم أنك أبخر، أي كريه رائحة الفم. فقال له الخليفة: كيف يصحّ ذلك عندي؟ قال: تدعو به غداً إليك؛ فإذا دنا منك وضع يده علىٰ أنفه لكي لا يشم ريح البُخر منك.

فقال له الخليفة انصرف حتىٰ أنظر.

فخرج الوزير من عند الملك فدعا الرجل في اليوم التالي إلىٰ منزله فأطعمه طعاماً فيه ثوم، وأوصاه أن يضع يده على أنفه لكي لا يتأذى الخليفة برائحة الثوم. ولما دعاه الخليفة إليه وقف بإزائه، وقال: أحسن إلىٰ المحسن وتكفي المسيء إساءته. فقال له الخليفة: ادن منّي، فدنا منه فوضع يده علىٰ فيه مخافة أن يشم منه الملك ريح الثوم. فقال الخليفة في نفسه: ما أرى فلاناً إلاّ صدق.

وكان الملك لا يكتب بخطّه إلا جائزة أو صلة. فكتب له بخطه إلىٰ عامل من عمّاله إذا أتاك حامل كتابي هذا، فاذبحه واسلخه واحش جلده تبناً وابعث به إليَّ. وأخذ الكتاب وخرج، فلقيه الوزير ورأىٰ الكتاب في يده فتوهم ان المعتصم أمر له بجائزة فماطله علىٰ أخذ الكتاب منه واستوهبه منه لقاء ألفي دينار قبضها الرجل، وأخذ الوزير الكتاب وتوجّه به إلىٰ العامل. فقرأه ونفذ ما جاء فيه من أمر الملك وذبح الوزير وسلخه وحشا جلده تبناً. ثم عاد الرجل كعادته إلى الخليفة وقال مثل قوله. فتعجب منه وقال له: ماذا فعلت بالكتاب؟ قال: لقيني فلان فاستوهبه مني لقاء كذا مبلغ فوهبته له. فقال المعتصم: لقد ذكر لي أنك تزعم اني أبخر. قال: وكيف أقول ما لا أعلم؟ قال: فَلِمَ وضعت يدك على أنفك؟ قال: كان أطعمني طعاماً فيه ثوم فكرهت أن تشم رائحة الثوم من فمي. قال: صدقت، ارجع إلىٰ مكانك فقد كفاك المسيء إساءته[1].

---

(١) المحجة البيضاء، ج٥، ص٣٢٨، (طبعة مؤسسة النشر الإسلامي).

وهكذا يتّضح أن نار الحسد يستعر لهيبها أحياناً فتحرق الدين والإيمان وتنتهي بالحاسد إلىٰ الكفر والعناد، ويستوي فيه بعدئذ عند الحاسد الإنذار وعدمه، ويسودّ قلبه من دخان النار المنبعثة منه، فلا يتسنىٰ بعدئذ جلاء القلب ولا يعود له صفاؤه. وهذا المعنى نصت عليه الآية الكريمة:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

حسد أبي جهل

روي أن المغيرة بن شعبة قال: إنّ أوّل يوم عرفت فيه رسول الله ﷺ اني كنت أمشي مع أبي جهل بمكّة فلقينا رسول الله ﷺ فقال له: «يا أبا الحكم! هَلُمّ إلىٰ الله وإلىٰ رسوله وإلى كتابه أدعوك إلىٰ الله». فقال: يا محمد! ما أنت بمنته عن سب آلهتنا، هل تريد إلا أن نشهد ان قد بلّغت، فنحن نشهد ان قد بلّغت، قال: فانصرف عنه رسول الله ﷺ، فأقبل عليَّ فقال: والله إني لأعلم أن ما يقول حق ولكن بني قصي قالوا: فينا الحجابة، فقلنا: نعم! ثم قالوا: فينا القِرىٰ، فقلنا: نعم! ثم قالوا: فينا الندوة، فقلنا: نعم! ثم قالوا: فينا السقاية، فقلنا: نعم! ثم أطعموا وأطعمنا حتّىٰ إذا تحاكت الركب قالوا: منّا نبي، والله لا أفعل[2].

حسد الشلمغاني

هو محمد بن علي الشلمغاني ويُعرف بابن أبي العزاقر، كان من

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦.

(٢) مصنّف ابن أبي شيبة، ج٨، ص٣٣٦، (طبعة دار الفكر).

الشخصيات المرموقة عند الشيعة، وكان مستقيم الطريقة وله كتب وروايات. كان يرىٰ في نفسه الأهلية للنيابة عن الإمام المهدي عليه السلام من بعد النائب الثاني محمد بن عثمان، ولم يكن يرىٰ أحداً أولىٰ بهذا المنصب منه. ولما خرج توقيع إمام الزمان عليه السلام بتعيين الحسين بن روح في هذا المنصب، اشتعلت نار الحسد في قلب الشلمغاني وحمله حسده علىٰ ترك المذهب والدخول في المذاهب الرديّة فتغيّر وظهرت عنه مقالات منكرة، وبلغ به الشقاء حداً جعله ينكر العبادات ويبيح الزواج بالمحارم ويقول بجواز نكاح المفضول من قبل الفاضل من الرجال مدعياً ان ذلك ايلاج للنور في المفضول. وهكذا فقد أضلّ بآرائه هذه خلقاً كثيراً، إلىٰ أن خرج توقيع من الحسين بن روح بلعنه فادّعىٰ أمام مريديه أن المراد من اللعن هنا هو النجاة من عذاب جهنّم، وسَجَد ومرّغ وجهه بالتراب وأوصىٰ أتباعه بكتمان هذا السّر. إلىٰ أن صدر توقيع من إمام الزمان عليه السلام بلعنه والبراءة منه.

وقال ذات يوم في بغداد: أريد مباهلة الحسين بن روح، فإذا لم تأت نار وتحرقه ما دامت يده في يدي فإنَّ ما يقوله بشأني صحيح.

وبعد يومين أمسكه الوزير ابن مقلة وقتله وصلبه ببغداد وأُحرق بالنار. وأحرقته النار التي زعم أنَّه يُحرق بها الحسين بن روح[1].

أقوال العلماء في الحسد:

قال المرحوم الملا أحمد النراقي في وصف الحسد انه أشد الأمراض وأصعبها وأسوأ الرذائل وأخبثها:

---

(١) الكنىٰ والألقاب، ج٢، ص٣٣٠، (مطبعة العرفان، صيدا).

ليس ثمة عقبة في الطريق أصعب من هذه

فـيـا حـبّـذا الـعـيـش بـلا حـسـد

وهذه الصفة تؤدي بصاحبها إلىٰ عقوبة الدنيا وعذاب الآخرة؛ لأنه في الدنيا لا يخلو لحظة عن الحزن والألم؛ إذ هو يتألم بكل نعمة يرىٰ لغيره، ونعم الله تعالىٰ غير متناهية لا تنقطع عن عباده، فيدوم حزنه وتألّمه. فوبال حسده يرجع إلىٰ نفسه، ولا يضر المحسود أصلاً، بل يوجب ازدياد حسناته ورفع درجاته من حيث انه يعيبه، ويقول فيه ما لا يجوز في الشريعة. فيكون ظالماً عليه، فيحمل بعضاً من أوزاره وعصيانه، وتُنقل صالحات أعماله إلىٰ ديوانه؛ فحسده لا يؤثّر فيه إلا خيراً ونفعاً. ومع ذلك يكون في مقام التعاند والتضاد مع رب الأرباب وخالق العباد. إذ هو الذي أفاض النعم والخيرات علىٰ البرايا كما شاء وأراد بمقتضىٰ حكمته ومصلحته. فحكمته الحقّة الكاملة أوجبت بقاء هذه النعمة علىٰ هذا العبد، والحاسد المسكين يريد زوالها. وهل هو إلاّ سخط قضاء الله في تفضيل بعض عباده علىٰ بعض، وتمنّي انقطاع فيوضات الله التي صدرت عنه بحسب حكمته وإرادة خلاف ما أراده الله علىٰ مقتضىٰ مصلحته؟!... إلى أن يقول:

... ثم لتمنّيه زوال النعم الإلهية التي هي الوجودات ورجوع الشرور إلىٰ الاعدام يكون طالباً للشر ومحبّاً له. وقد صرّح الحكماء بأن من رضي بالشر، ولو بوصوله إلىٰ العدو، فهو شرّير. فالحسد أشد الرذائل، والحاسد شر النّاس. وأي معصية أشد من كراهة راحة مسلم من غير أن يكون له فيها مضرّة؟[1].

---

(١) النراقي، أحمد، جامع السعادات، ج٢، ص ١٩٣ (طبعة مؤسسة اسماعيليان).

وقال العلاّمة المعاصر السيد رضا الصدر تحت عنوان «إفرازات الحسد»، ما يلي:

«إذا كان الحسود يتصف بأخلاق حسنة يؤدي به الحسد إلىٰ سوء الأخلاق، ولا يمكنه أن يقابل الآخرين بوجه طلق، خاصّة إذا لم ينجح حسده في الإساءة إلىٰ المحسود كما هو الحال في معظم حالات الحسد. وهنا يصبح أسوأ مما كان عليه وأشد عبوساً وأكثر حقداً.

أما بالنسبة إلىٰ الإنسان البسيط ذي الوجه الواجه، يؤدي به الحسد إلىٰ التلوّن والتقلّب، لأنّه مضطر إلى انتهاج أسلوب المباغتة من أجل إنزال الضربة الموجعة في الوقت المناسب. ومن هنا يتلون قلبه ولسانه بلون ظاهري وآخر باطني.

والحسد يولّد اللؤم؛ لأن اللؤم معناه الإحجام عن الإحسان إلى الناس. هذا فيما إذا لم يكن الحسد نابعاً من البخل. أمّا إذا كان نابعاً منه فهو ليس إلا تحصيل حاصل.

والحسد يُذهب صفة التضحية ويستبدلها بصفة الأنانية؛ وذلك لأن التضحية تستلزم انتفاع الآخرين، والحسود لا يجني أية ثمرة من وراء ذلك.

والحسد يجعل من الإنسان مجرماً وقاتلاً؛ وذلك لأنّ إحدى الطرق التي يسلكها الحاسد لتحقيق غايته هو قتل النفس. والحسد يحيل الإنسان إلى ناكرٍ للجميل ويقضي علىٰ صفة عرفان الجميل عنده، ويدفعه إلىٰ خيانة ولي نعمته وإنكار ما رآه منه من مكارم وإحسان. والحسد يبدّل الإنسان إلىٰ شخص كاذب ويفضحه أمام العباد ورب العباد.

وقال أيضاً في موضع آخر: وليعلم الحاسد ان الحسد مضر له ولا يجني من وراءه سوىٰ العذاب والهم والألم والكمد، ولا يحصل من ورائه إلا علىٰ الموت. وتبقىٰ الهواجس الداخلية تؤذي المرء علىٰ الدوام وتقض مضجعه وتسلب راحته.

وما أجمل قول الشاعر العربي الذي قال:

يا طالب العيش في أمن وفي دعة   محضاً بلا كدر صفواً بلا رنق
خلّص فؤادك من غل ومن حسد   فالغل في القلب مثل الغل في العنق

بل إن غل القلب أكثر إيذاءً من القيود في الرقبة وذلك لأنّ القيد يؤذي الأعضاء المقيّدة فيه فقط. بينما غل القلب يجلب الألم والأذىٰ لجميع الأعضاء والجوارح.

عين الحسود تؤذيها الرؤية، وأذنه يؤذيها السماع، وعقله يؤذيه الفهم. ولكن ليعلم الحاسد ان الحسد مضر لدينه ودنياه. وفي هذه الصفة معاداة لأنعم الله. أضف ان معاداة من أنعم عليهم الله تُعتبر من أسوأ أنواع الشقاء والتعاسة. والحاسد جدير بغضب الله.

وإذا تفاقم الحسد وامتزج مع اللاشعور قد يؤدي بالمرء إلى إنكار عدل الله. لا شك في أن أكبر سعادة ينالها المرء هي أن يكون موضع رعاية الله وفضله وقد سعىٰ جميع الأنبياء والصالحين والأولياء إلىٰ أن يكونوا موضع رعاية الله ولطفه. وأكبر الشقاء أن يكون المرء موضع غضب الله. والحسود يسعىٰ بجهله إلى سخط الله، ويحفر بيده بئراً من نار يسقط هو فيه.

والحسد يقضي علىٰ العواطف الإنسانية في روح الإنسان، ويؤدي

إلىٰ قسوة القلب وقد يرتكب الحسود أحياناً جرائم تسوّد وجه التاريخ. ونقدّم القصّة التالية كمثال يعكس هذه الحقيقة:

كانت هناك زوجة أب تعذب ابنة زوجها (اليتيمة من جهة الأم) البالغة من العمر أربع سنوات بإبرة تغرسها في جسمها. وقد نشرت تفاصيل هذه القصّة في الصحف. وكان السبب الأساسي وراء هذا العمل الإجرامي هو ما كان يشتعل في قلبها من نار الحسد. وهو ما اعترفت به بنفسها أمام المحقق الذي ذكر بأنّها اعترفت في آخر دفاع لها عن نفسها بأنّها كانت تغرس الابرة في جسم هذه الطفلة. وانها نادمة علىٰ عملها هذا.

وجاء ضمن اعترافات هذه المرأة: إن حب زوجي لطفلته (منيرة) وما كان يغرقها به من كلمات المحبّة والعطف والحنان، كان يشعل نار الحسد في قلبي ويدفعني إلى تناولها من حجره. وكانت هذه الطفلة الصغيرة بمثابة منافس لي في ميدان الحب. فوضعت خطّة بدأت بتنفيذها منذ سنة ونصف بكل هدوء حيث أخذت أغرس الأبر الصغيرة والكبيرة في جسمها أثناء النوم أو في اليقظة وأخذت أقرّبها في كل يوم خطوة أخرىٰ نحو الموت.

وصفة الحسد هذه هي التي دفعت إخوة يوسف عليه السلام إلىٰ تجاهل عاطفة الأخوّة وسحق حقوق الأبوّة وتناسي غضب الله، وإلقاء أخيهم البريء في البئر بلا ذنب منه.

وقد ينتهي الحسد بين الزوج والزوجة إلىٰ حد هدم كيان الأسرة. وأوضح مصاديق هذا النوع من الحسد هو الحسد الجنسي. والحقيقة أن من يخون زوجه يقع في نوع من الحسد غير خاضع للمعالجة والدواء.

ومن العوامل الأخرىٰ التي تؤدي إلىٰ بروز الحسد بين الزوج والزوجة، التنافس علىٰ حب الأطفال والحنان عليهم، إذ من المحتمل حصول تنافس بين الزوج والزوجة علىٰ كسب محبّة الأطفال. وهذه الظاهرة تترك تأثيراً سلبياً في النمو العاطفي للطفل.

أمّا إذا كانت هناك اختلافات بين الزوج والزوجة خاصة إذا كانت هذه الاختلافات تؤدي بأحدهما إلى ترك الآخر، فإن هذا الوضع يخلق للطفل أجواء عصيبة في غاية السوء. وقد يلجأ أحد الأبوين إلىٰ الكذب على الطفل من تشويه صورة الآخر في ذهنه. وينبغي الالتفات هنا إلىٰ أن الطفل يقع في مثل هذه الحالة ضحية لتحاسد أبويه.

غالباً ما تكون للحسد أسباب متعددة، وتكون له درجات متباينة من حيث الضعف والشدّة؛ فبعضها يقف عند حد الشتائم والتراشق الكلامي. وبعضها الآخر يمتد إلىٰ الضرب والإيذاء. وبعضها ينتهي إلىٰ الغضب والقطيعة والافتراق، وهذه الأوضاع ناتجة كلّها عن الحسد. وقد تؤدي حالة الغضب الناجمة عن الحسد إلىٰ قتل المنافس.

الغضب مضر جديد بالنسبة للأشخاص الحسودين. وقد يؤدي إلىٰ إيجاد اضطرابات جسدية ونفسية كالربو مثلاً[1].

الحسد يحول دون قبول الحق

ومن المفاسد الوخيمة للحسد هي أنّه يحول بين المرء وبين الاذعان للحقيقة أو التسليم للحق. وما أكثر الناس الذين حجبهم الحسد

---

(١) نقلاً عن كتاب «نفش ناكاميها» باللغة الفارسية، ص١٣٨.

عن قبول الحق والدخول في الدين الحق، فخرجوا من الدنيا كفاراً أو مشركين، ومن الشواهد الجلية علىٰ هذه الحقيقة هي القصّة التالية:

«نقل سَلَمة بن سلامة بن وقش، وكان سلمة من أصحاب بدر، قال: كان لنا جار من اليهود في بني عبد الأشهل، فخرج علينا يوماً من بيته حتىٰ وقف علىٰ بني عبد الأشهل ـ وأنا يومئذ أحدث من فيه سنّاً، وكانت عليّ بردة لي، مضطجع فيها بفناء أهلي ـ فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار، فقال: ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان، لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت. فقالوا له: ويحك يا فلان أو ترىٰ هذا كائناً؛ إن الناس يبعثون بعد موتهم إلىٰ دار فيها جنّة ونار يجزون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم والذي يُحلَفُ به، ولَوَدَّ أنَّ له بحظّه من تلك النار أعظم تنّور في الدار، يحمونه ثم يدخلونه إيّاه فيطيّنونه عليه، بأن ينجو من تلك النار غداً. فقالوا له: ويحك يا فلان! فما آية ذلك؟ قال: نبي مبعوث من نحو هذه البلاد، وأشار بيده إلىٰ مكّة واليمن. فقالوا: ومتىٰ تراه؟

فنظر إليَّ وأنا من أحدثهم سنّاً، ثم قال: إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه.

قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتىٰ بعث الله محمداً رسوله ﷺ، وهو حيّ بين أظهرنا، فآمنّا به، وكفر به بغياً وحسداً. فقلنا له: ويحك يا فلان ألست الذي قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلىٰ، ولكن ليس به»[1].

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٢٤٩، (طبعة إحياء التراث، ١٤١٥هـ).

رجل من أهل الجنّة

ومما روي في سيرة رسول الله ﷺ في هذا المجال انه كان جالساً ذات يوم مع أصحابه، فقال لهم: «يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنّة». فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال، فلمّا كان الغد قال النّبي ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرّة الأولىٰ. فلمّا كان اليوم الثالث قال النّبي ﷺ مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرجل علىٰ مثل حاله الأولىٰ، فلمّا قام النّبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو، فقال: إنّي لاحيت أبي فأقسمتُ انّي لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتّىٰ تمضي فَعلتُ، قال: نعم.

بات معه عبدالله تلك الليالي الثلاث، فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير انه إذا تعار تقلّب علىٰ فراشه ذكر الله عز وجل، وكبّر حتّىٰ لصلاة الفجر، ولم يسمعه يقول إلاّ خيراً. ومضت الليالي الثلاث ولم يلاحظ عبدالله من الرجل عملاً كثيراً ولا عبادة كثيرة وكاد أن يحتقر عمله، وكاشفه بحقيقة أمره، وقال له: يا عبدالله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول ثلاث مرّات: «يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنّة». فطلعت أنت الثلاث المرّات. فأردت أن آوي إليك، فأنظر ما عملك فأقتدي بك، فلم أرك فعلت كبير عملٍ. فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت. فلمّا وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أنّي لا أجد في نفسي لأحد غشاً، ولا أحسد أحداً علىٰ خير أعطاه الله إيَّاه. فقال عبدالله: هذه التي بلغت بك[١].

---

(١) المنذري، الترغيب والترهيب، ج٣، ص٥٢٧، (طبعة دار ابن كثير).

الحسود يحترق في الدنيا بنار الحسد، وفي الآخرة بنار جهنّم

إذا رجعنا إلىٰ التاريخ نجد أنَّ بعض الأشخاص أثاروا فتنة لا يخمد لهيبها بسبب ما يعتمل في نفوسهم من نار الحسد، وكم من شخصية فاضلة وتقية شُلّت عن العمل بسبب حسد الحاسدين، ولم تنتفع منها الأمّة، ومع ذلك لم يبق لا الحاسد ولا المحسود.

ليس للدنيا قدر يدعو إلىٰ الحسد　　فلا الحاسد يبقىٰ ولا المحسود[1]

ومن القصص التي حفظها لنا التاريخ نأتي علىٰ ذكر القصّة التالية:

عن زرقان صاحب ابن أبي داوود وصديقه، قال: رجع ابن أبي داوود ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتم فقلت له في ذلك، فقال: وددت اليوم اني قد مُتُّ منذ عشرين سنة. قلت: ولم ذاك؟ قال: لما كان اليوم من هذا الأسود أبي جعفر محمد بن علي بن موسىٰ اليوم بين يدي المأمون. قلت: وكيف كان ذلك؟ قال: إن سارقاً أقرّ علىٰ نفسه بالسرقة، وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ عليه. فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه وقد أحضر محمد بن علي، فسألنا عن القطع في أي موضع يجب أن يُقطع، فقلت: من الكرسوع. قال: وما الحجة في ذلك؟ قلت: لأن اليد هي الأصابع والكف إلى الكرسوع؛ لقول الله في التيمم ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾[2] واتفق معي على ذلك قوم.

وقال آخرون: يجب القطع من المرفق. قال: وما الدليل على

---

(١) أصل الشعر باللغة الفارسية:

دنيا آن قدر ندارد كه بر او رشك برى　　أى برادر كه نه حسود بماند نه حسود

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٣.

ذلك؟ قالوا: لأنّ الله تعالىٰ لما قال: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾[1] في الغسل دلّ ذلك علىٰ أنَّ حدَّ اليد هو المرفق.

فالتفت المعتصم إلىٰ محمد بن علي، فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟ فقال: قد تكلّم القوم فيه يا أمير المؤمنين. قال: دعني مما تكلّموا به، أي شيء عندك؟ قال: اعفني عن هذا يا أمير المؤمنين. قال: أقسمت عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه.

فقال: أمّا إذا أقسمت عليّ بالله إني أقول إنّهم أخطأوا فيه السنة؛ فإن القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع، فيترك الكف. قال: وما الحجة في ذلك؟ قال: قال رسول الله ﷺ: «السجود علىٰ سبعة أعضاء: الوجه واليدين والركبتين والرجلين»؛ فإذا قطعت يده من الكرسوع أو من المرفق لم يبق له يد يسجد عليها، وقال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يُسجد عليها ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[2] وما كان لله لم يُقطع. قال: فأعجب المعتصم ذلك، وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف.

قال ابن أبي داوود: قامت قيامتي وتمنيت اني لم أكُ حيّاً.

قال زرقان: وبعد ثلاثة أيام ذهب ابن أبي داوود إلىٰ المعتصم وقال له: إن نصيحة أمير المؤمنين عليَّ واجبة وأنا أكلّمه بما أعلم اني أدخل به النار. قال: وما هو؟ قلتُ: إذا جمع أمير المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيّته وعلماءهم لأمر واقع من أمور الدين، فسألهم عن الحكم

(١) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٢) سورة الجن، الآية: ١٨.

فيه فأخبروه بما عندهم من الحكم في ذلك، وقد حضر مجلسه أهل بيته وقوّاده ووزراؤه وكتّابه، وقد تسامع الناس بذلك من وراء بابه، ثم يترك أقاويلهم كلّهم لقولِ رجل يقول شطر هذه الأمة بإمامته، ويدّعون انّه أولىٰ منه بمقامه، ثم يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء؟!

قال: فتغيّر لونه وانتبه لما نبّهته له، وقال: جزاك الله عن نصيحتك خيراً[1]. ومنذ تلك اللحظة برقت في ذهن المعتصم فكرة قتل الإمام محمد الجواد عليه السلام والتخلّص منه.

نصيحة المؤمن

وعلىٰ الضد من صفة الحسد، النصيحة للمؤمن وحبّ الخير له بما يعنيه ذلك من إرشاده وتعليمه واستجلاب الخير والمنفعة له. فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «يجب للمؤمن علىٰ المؤمن أن يناصحه»[2].

وورد عن سفيان بن عيينة أنه قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «عليك بالنصح لله في خلقه فلن تلقاه بعملٍ أفضل منه»[3].

وجاء عنه أيضاً أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن أعظم الناس منزلة عند الله يوم القيامة أمشاهم في أرضه بالنصيحة لخلقه»[4].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «لينصح الرجل منكم كنصيحته لنفسه»[5].

---

(١) بحار الأنوار، ج٥٠، ص٥.

(٢) الكافي، ج٢، ص٢٠٨، (باب نصيحة المؤمن).

(٣) الكافي، ج٢، ص١٦٤، (باب الاهتمام بأمور المسلمين والنصح لهم).

(٤) الكافي، ج٢، ص٢٠٨، (باب نصيحة المؤمن).

(٥) المصدر السابق.

١٠ ـ حب الدنيا

وردت في كتاب الكافي، في باب ذم الدنيا والزهد فيها، أحاديث كثيرة، نورد منها ما يلي:

١ ـ سُئِل الإمام علي بن الحسين عليه السلام: أي الأعمال أفضل عند الله عز وجل؟ فقال: «ما مِن عمل بعد معرفة الله جل وعزّ ومعرفة رسوله، أفضل من بغض الدنيا، فإنَّ لذلك لشعباً كثيرة وللمعاصي شعب:

فأول ما عصي الله به الكبر؛ معصية إبليس حين أبىٰ واستكبر وكان من الكافرين.

ثم الحرص؛ وهي معصية آدم وحواء عليهما السلام حين قال الله عز وجل لهما: ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١]. فأخذا ما لا حاجة بهما إليه. فدخل ذلك علىٰ ذريّتهما إلىٰ يوم القيامة؛ وذلك ان أكثر ما يطلب ابن آدم ما لاحاجة به إليه.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٩.

ثم الحسد؛ وهي معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله؛ فتشعب من ذلك حب النساء، وحب الدنيا، وحب الرئاسة، وحب الراحة، وحب الكلام، وحب العلو والثروة، فصرن سبع خصال، فاجتمعن كلهنّ في حب الدنيا، فقال الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك: حب الدنيا رأس كل خطيئة. والدنيا دنياوان؛ دنيا بلاغ، ودنيا ملعونة»[1].

ويفهم من هذه الرواية وخاصة في الجملة الأخيرة منها، ان الدنيا التي يذمها الإسلام ويعتبرها رأس كل خطيئة هي الدنيا التي تبعد الإنسان عن الله وتقوده إلىٰ المعصية، أما الدنيا التي تكون سبباً لتكامل الإنسان وقربه إلى الله فلا مانع منها ولا منهي عنها[2].

٢ ـ وقال الإمام الصادق عليه السلام في الحث علىٰ الزهد في الدنيا: «من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وبصّره

---

(١) الكافي، ج٢، ص٣١٧، (باب حب الدنيا).

(٢) بيان: ورد ذكر الدنيا في مواضع كثيرة في القرآن الكريم وفي الأحاديث المروية عن أهل البيت عليهم السلام. فقد وردت في القرآن الكريم أكثر من مائة آية عن الدنيا وعن جوانبها الإيجابية والسلبية.

وفي الأحاديث الشريفة أيضاً، أفردت الكتب الحديثية المعتبرة أبواباً لذكر الدنيا إمّا ذمّاً للميل إليها والانغماس فيها، وإمّا ذمّاً لاعتزالها والهروب منها. ويستشف من مجمل الآيات والروايات ان الدنيا علىٰ نوعين: دنيا ممدوحة، ودنيا مذمومة، أو كما عبرت عنها الروايات: دنيا بلاغ ودنيا ملعونة.

إذا كانت الدنيا بحدّ ذاتها غاية للإنسان فهي مذمومة وملعونة؛ لأنها تؤدي بالمرء إلى الانغماس فيها ونسيان ربّه. أمّا إذا اتخذ المرء منها وسيلة للقرب إلىٰ الله فهذه هي دنيا البلاغ وهي الدنيا الممدوحة. إذاً فمن الممكن أن تكون للمؤمن أموال كثيرة ودرجات رفيعة، لكن هدفه من وراء ذلك ابتغاء مرضاة الله. أما إذا كانت الدنيا حجاباً تحول بينه وبين القرب إلىٰ الله فهي مذمومة.

وهنا نلفت أنظار القراء الكرام إلى أن الدنيا المذمومة في هذا الباب من الكتاب هي تلك الدنيا الملعونة التي تحجب الإنسان عن التكامل والقرب إلىٰ الله، ولا يتوهم أن الإيمان يتعارض مع مطلق الدنيا.

عيوب الدنيا داءها ودواءها وأخرجه من الدنيا سالماً إلى دار السلام»[1].

٣ ـ وقال أبو جعفر عليه السلام: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: من أعون الأخلاق علىٰ الدين الزهد في الدنيا»[2].

٤ ـ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا». ثم قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يجد الرجل حلاوة الإيمان في قلبه حتىٰ لا يبالي في أكل الدنيا»، ثم قال أبو عبدالله عليه السلام: «حرام علىٰ قلوبكم أن تعرف حلاوة الإيمان حتىٰ تزهد في الدنيا»[3].

بيان: من الطبيعي أنَّ الشخص الذي ينهمك في جمع المال والانغماس في شؤون الدنيا تتراكم عليه مشاغل كثيرة من مشاغل الدنيا مما يشغل فكره ويزيد من حرصه، ويصبح كل همّه هو الاستزادة من المال واجتياز العقبات التي تحول دون حصوله عليه. ولا تتوفر أمامه في مثل هذه الظروف والأجواء، فرصة للنظر في شؤون الآخرة، ولا يذوق لذة الإيمان والطاعة إذ لا يذوق طعم الإيمان إلاّ من يتوجه إلىٰ ربّه بقلب فارغ من المشاغل، ويناجيه عن إخلاص ومعرفة.

٥ ـ عن سفيان بن عيينة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام وهو يقول: «كل قلب فيه شك أو شرك فهو ساقط. وإنَّما أرادوا بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة»[4].

---

(١) الكافي، ج٢، ص١٢٨، (باب ذم الدنيا والزهد فيها).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الكافي، ج٢، ص١٢٩، (باب ذم الدنيا والزهد فيها).

٦ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن علامة الراغب في ثواب الآخرة زهده في عاجل زهرة الدنيا، أما ان زهد الزاهد في هذه الدنيا لا ينقصه مما قسم الله عز وجل له فيها وإن زهد. وإن حرص الحريص علىٰ عاجل زهرة (الحياة) الدنيا لا يزيده فيها وإن حرص. فالمغبون من حرم حظّه من الآخرة»[١].

٧ ـ وقال أبو عبدالله عليه السلام: «خرج النبي صلى الله عليه وآله وهو محزون فأتاه ملك ومعه مفاتيح خزائن الأرض فقال: يا محمد هذه مفاتيح خزائن الأرض يقول لك ربّك: افتح وخذ منها ما شئت من غير أن تنقص شيئاً عندي. فقال رسول الله عليه السلام: الدنيا دار من لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له. فقال الملك: والذي بعثك بالحق نبيّاً لقد سمعت هذا الكلام من ملك يقوله في السماء الرابعة حين أُعطيت المفاتيح»[٢].

٨ ـ وروي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بجدي أسَكَّ ملقىً علىٰ مزبلة ميّتاً فقال لأصحابه: كم يساوي هذا؟ قالوا: لعله لو كان حيّاً لا يساوي درهماً. فقال النبي صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده، الدنيا أهون على الله من هذا الجدي علىٰ أهله»[٣].

الأمر الطريف في هذه الرواية هو أن الرسول صلى الله عليه وآله استنطق أصحابه في بداية الأمر وجعلهم يقرّون بعدم قيمة هذا الجدي وانه لو كان حيّاً لما كان يساوي درهماً، فما بالك وهو في هذه الحالة المثيرة

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الكافي، ج٢، ص١٢٩، (باب ذم الدنيا والزهد فيها).

للاشمئزاز، وبعد أن لفت أنظارهم إلىٰ وضاعة الشيء وحقارته، بيّن لهم حالة الدنيا عند الله (وأولياء الله)، مؤكّداً عدم إمكانية الجمع بين حب الدنيا وحب الله.

٩ ـ وورد في حديث عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن في طلب الدنيا إضراراً بالآخرة، وفي طلب الآخرة إضراراً بالدنيا. فأضروا بالدنيا فإنّها أولىٰ بالاضرار»[1].

بيان: قال العلاّمة المجلسي في شرح هذا الحديث: هذا الحديث يوميء إلىٰ ان المذموم من الدنيا ما يضر بأمر الآخرة، فإمّا ما لا يضر به كقدر الحاجة في البقاء والتعيّش فليس بمذموم.

١٠ ـ وجاء عن أبي عبيدة الحذّاء، قال: قلتُ لأبي جعفر عليه السلام: حدّثني بما أنتفع به، فقال: «يا أبا عبيدة! أكثر ذكر الموت فإنّه لم يكثر إنسان ذكر الموت إلاّ زهد في الدنيا»[2].

١١ ـ وقال الإمام أبو جعفر عليه السلام في ذم الدنيا والحث علىٰ الزهد فيها: «ملك ينادي كل يوم: يا ابن آدم لِد للموت، واجمع للفناء، وابن للخراب»[3].

١٢ ـ عن جابر قال: دخلتُ علىٰ أبي جعفر عليه السلام فقال: «يا جابر والله إنّي لمحزون، وإنّي لمشغول القلب». قلت: جعلت فداك وما حزن قلبك؟ فقال: «يا جابر إنّه من دخل قلبه صافي خالص دين

---

(١) المصدر السابق، ص١٣١.

(٢) الكافي، ج٢، ص١٣١، (باب ذم الدنيا والزهد فيها).

(٣) المصدر السابق.

الله شغل قلبه عمّا سواه، يا جابر ما الدنيا وما عسىٰ أن تكون الدنيا؟ هل هي إلاّ طعام أكلته أو ثوب لبسته أو امرأة أصبتها؟!

يا جابر إن المؤمنين لم يطمئنوا إلىٰ الدنيا ببقائهم فيها، ولم يأمنوا قدومهم الآخرة. يا جابر الآخرة دار قرار، والدنيا دار فناء وزوال. ولكن أهل الدنيا أهل غفلة وكأن المؤمنين هم الفقهاء أهل فكرة وعبرة، لم يعمهم عن ذكر الله جل اسمه ما سمعوا بآذانهم، ولم يعمهم عن ذكر الله ما رأوا من الزينة بأعينهم؛ ففازوا بثواب الآخرة، كما فازوا بذلك العلم.

واعلم يا جابر أنَّ أهل التقوىٰ أيسر أهل الدنيا مؤونة، وأكثرهم لك معونة؛ تذكر فيعينونك وإن نسيت ذكّروك. قوالون بأمر الله قوامون علىٰ أمر الله. قطعوا محبّتهم بمحبة ربّهم ووحشوا الدنيا لطاعة مليكهم ونظروا إلىٰ الله عز وجل وإلىٰ محبّته بقلوبهم وعلموا ان ذلك هو المنظور إليه لعظيم شأنه. فانزِلِ الدنيا كمنزلٍ نزلته ثم ارتحلت عنه، أو كَمالٍ وجدته في منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء. إني إنَّما ضربت لك هذا مثلاً؛ لأنَّها عند أهل اللب والعلم بالله كفيء الظِلال. يا جابر فاحفظ ما استرعاك الله جل وعز من دينه وحكمته ولا تسألَن عمّا لك عنده إلاّ ما له عند نفسك؛ فإن تكن الدنيا علىٰ غير ما وصفت لك فتحوّل إلىٰ دار المستعتب. فلعمري لربّ حريص علىٰ أمرٍ قد شقي به حين أتاه، ولربّ كاره لأمر قد سعد به حين أتاه، وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾[1]»[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤١.

(٢) بحار الأنوار، ج٧٣، ص٣٦.

يمكننا أن نستخلص من هذه الرواية الأمور التالية:

١ ـ لا فائدة من الحرص علىٰ متاع الدنيا من الطعام والثياب والمرأة، إلا إذا جُعل هذا المتاع كمقدمة للآخرة، وعندها يُحسب هذا من الآخرة لا من الدنيا.

٢ ـ الدنيا دار فناء وزوال.

٣ ـ أولياء الله يستوحشون من الدنيا.

٤ ـ الدنيا كمنزل ضيافة، والإنسان مسافر ليس له منها إلاّ المبيت فيها ومغادرتها.

٥ ـ متاع الدنيا كالمال الذي يراه الإنسان في المنام، وعندما يستيقظ لا يجد في يده شيئاً منه «الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا»[1]؛ فينقطعون عند ذاك عن الدنيا ومتاعها.

٦ ـ الدنيا كظل سريع الزوال.

٧ ـ الإنسان شديد الحرص علىٰ نيل الدنيا، وفي كثير من الحالات يكون حصوله علىٰ ما حرص عليه منها سبباً لشقائه وعذابه ويلهيه عن ذكر الله وطاعته.

٨ ـ المؤمنون والعلماء الربانيّون غير غافلين وإنّما علىٰ حذر من الدنيا وينظرون إليها نظرة المستعبر.

١٣ ـ روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: قال

---

(١) عيون الحكم، ص٦٦.

رسول الله ﷺ: «ما لي وللدنيا إنَّما مَثَلي ومثلها كمثل الراكب رفعت له شجرة في يوم صائف فقال تحتها ثم راح وتركها»[1].

١٤ ـ وقال أبو جعفر عليه السلام: «مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القزّ كلّما ازدادت على نفسها لفّاً كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غمّاً».

وقال أبو عبدالله عليه السلام في هذا المعنى أيضاً: «كان فيما وعظ به لقمان ابنه: يا بني إن النَّاس قد جمعوا قبلك لأولادهم فلم يبق ما جمعوا ولم يبق من جمعوا له. وإنَّما أنت عبد مستأجر قد أُمرت بعمل ووعدت عليه أجراً؛ فاوفِ عملك واستوف أجرك ولا تكن في هذه الدنيا بمنزلة شاةٍ وقعت في زرع أخضر فأكلت حتّى سمنت فكان حتفها عند سمنها، ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر جُزت عليها وتركتها ولم ترجع إليها آخر الدهر. اخربها ولا تعمّرها؛ فإنّك لم تؤمر بعمارتها.

واعلم أنّك ستُسأل غداً إذا وقفت بين يدي الله عز وجل عن أربع: شبابك فيما أبليته، وعمرك فيما أفنيته، ومالك مما اكتسبته وفيما أنفقته، فتأهَّب لذلك وأعدّ له جواباً. ولا تأس على ما فاتك من الدنيا فإنَّ قليل الدنيا لا يدوم بقاؤه، وكثيرها لا يؤمن بلاؤه. فخذ حذرك، وجدّ في أمرك واكشف الغطاء عن وجهك وتعرّض لمعروف ربّك، وجدّد التوبة في قلبك، واكمش في فراغك قبل أن يقصد قصدك، ويُقضى قضاؤك، ويُحال بينك وبين ما تريد»[2].

---

(١) الكافي، ج٢، ص١٣٤.

(٢) الكافي، ج٢، ص١٣٤.

ألـم تـر أن الـمـرء طـول حـيـاتـه حـريـص عـلـىٰ مـا يـزال يـنـاسـجـه
كـدود الـقـزّ يـنـسـج دائـمـاً فـيهـلـك غـمـاً وسط مـا هـو نـاسـجـه

١٥ ـ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «في كتاب علي صلوات الله عليه، إنَّما مثل الدنيا كمثل الحيّة ما ألين مسّها وفي جوفها السم الناقع، يحذرها الرجل العاقل ويهوي إليها الصبي الجاهل»[١].

١٦ ـ ونقل عن أبي عبدالله عليه السلام أنَّه قال: «مثل الدنيا كمثل ماء البحر كلّما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتىٰ يقتله»[٢].

العالم قائم على الهواء

روي أن سليمان بن داوود عليهما السلام قال ذات يوم لأصحابه: إن الله تبارك وتعالىٰ قد وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي؛ سخّر لي الريح والإنس والجن والطير والوحوش وعلّمني منطق الطير، وآتاني من كل شيء. ومع جميع ما أوتيت من الملك ما تمَّ لي سرور يوم إلىٰ الليل وقد أحببت أن أدخل قصري في غد فأصعد أعلاه وأنظر إلىٰ ممالكي؛ فلا تأذنوا لأحد عليَّ لئلاّ يَرِد عليّ ما ينغّص عليَّ يومي[٣]. قالوا: نعم، فلمّا كان من الغد أخذ عصاه بيده وصعد إلىٰ أعلىٰ موضع من قصره ووقف متكئاً علىٰ عصاه ينظر إلى ممالكه مسروراً بما أوتي فرحاً بما أُعطي؛ إذ نظر إلىٰ شاب حسن الوجه واللباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره. فلمّا بصر به

---

(١) المصدر السابق، ص١٣٦.

(٢) الكافي، ج٢، ص١٣٦، (باب ذم الدنيا والزهد فيها).

(٣) من الواضح أن لذة سليمان وغيره من الأنبياء هي التفرغ من شؤون الدنيا ومشاغلها والتوجّه إلى الله وعبادته، ومع أنهم يلتذون بما يلتذ به سائر الناس إلاّ أن أكثر لذتهم معنوية.

سليمان عليه السلام قال له: من أدخلك هذا القصر، وقد أردت أن أخلو فيه اليوم؟ فبإذن مَن دخلت؟

فقال الشاب: أدخلني هذا القصر ربّه وبإذنه دخلت. فقال: ربَّه أحق به مني، فمن أنت؟ قال: أنا ملك الموت. قال: وفيما جئت؟ قال: جئتُ لأقبض روحك. قال: امضِ لما أُمرت به، فهذا يوم سروري، وأبىٰ الله عز وجل أن يكون لي سرور دون لقائه.

فقبض ملك الموت روحه وهو متّكىء علىٰ عصاه. وبقي سليمان متكئاً على عصاه وهو ميت ما شاء الله والناس ينظرون إليه وهم يقدّرون أنّه حي؛ فافتتنوا فيه واختلفوا؛ فمنهم من قال: إن سليمان قد بقي متكئاً علىٰ عصاه هذه الأيام الكثيرة ولم يتعب ولم ينم ولم يأكل ولم يشرب؛ إنَّه لرّبنا الذي يجب علينا أن نعبده. وقال قوم: إن سليمان عليه السلام ساحر وإنه يرينا أنه واقف متّكىء علىٰ عصاه يسحر أعيننا وليس كذلك. فقال المؤمنون: إن سليمان عبد الله ونبيّه ويدبّر الله أمره بما شاء.

فلمّا اختلفوا بعث الله عز وجلّ الأرضة، فدبّت في عصاه؛ فلمّا أكلت جوفها انكسرت العصا وخرّ سليمان عليه السلام من قصره علىٰ وجهه. فشكرت الجن للأرضة صنيعها. فلأجل ذلك لا توجد الأرضة في مكان إلا وعندها ماء وطين. وذلك قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾[1][2].

---

(١) سورة سبأ، الآية: ١٤.

(٢) بحار الأنوار، ج١٤، ص١٣٥.

ونظم أحد شعراء الفارسية أبياتاً جميلة في وصف هذه الدنيا الزائلة، نقدّم ها هنا ترجمة لمعانيها:

يرىٰ الحكماء ان ملك الريح والحق إن سليمان متحرر من قيد الملك

ومنهم من يرىٰ ان العالم قائم بالماء ولكن الحق ان العالم اساسه هواء

إذا كان الوادي مليئاً بالأزهار الحمراء فلا توهمك فهي من دماء قلب فرهاد

ملك بغداد يبكي علىٰ الخلفاء وإلاّ فما هذا الشط الجاري في بغداد

لا تبنِ خيمة الأنس في هذا المنزل الخرب فبناؤه لا أساس متين له

إذا سطعت شمس الدهر علىٰ آخرين لا حيلة بعدئذ فقد حلّ المكروه[1]

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «مرّ عيسىٰ ابن مريم عليه السلام علىٰ قرية قد مات أهلها وطيرها ودوابّها فقال: أما إنّهم لم يموتوا إلا بسخطةٍ، ولو ماتوا متفرقين لتدافنوا. فقال الحواريون: يا روح الله وكلمته! ادعُ الله أن يحييهم لنا فيخبرونا ما كانت أعمالهم فنجتنبها. فدعا عيسىٰ ربّه فنودي من الجو: ان نادهم. فقام

---

(١) أصل الشعر باللغة الفارسية:

بيش صاحب نظران ملك سليمان باد است — بلكه آنست سليمان كه زملك آزاد است

آنكه كويند كه بر آب نهاده است جهان — مشنو اى خواجه كه بنيان جهان بر باد است

كر براز لاله سيراب بود دامن كوه — مرو از راه كه ان خون دل فرهاد است

ملك بغداد بمرك خلفاء مى كيريد — ورنه اين شط روان جيست كه در بغداد است

خيمه انس مزن بر در اين كهنه رباط — كه اساسش همه بى موقع وبى بنياد است

هر زمان مهر فلك بر دكرى مى تابد — جه توان كرد كه اين سفله حنين افتاد است

عيسىٰ عليه السلام بالليل علىٰ شرف من الأرض، فقال: يا أهل هذه القرية! فأجابه منهم مجيب: لبيك يا روح الله وكلمته. فقال: ويحكم ما كانت أعمالكم؟ قال: عبادة الطاغوت وحب الدنيا مع خوف قليل وأملٍ بعيد وغفلة في لعب ولهو. قال: فكيف كان حبكم للدنيا؟ قال: كحب الصبي لأُمّه؛ إذا أقبلت علينا فرحنا وسررنا وإذا أدبرت عنّا بكينا وحزنّا. قال: كيف كانت عبادتكم للطاغوت؟ قال: الطاعة لأهل المعاصي. قال: كيف كان عاقبة أمركم؟ قال: بتنا ليلة في عافية وأصبحنا في الهاوية. فقال: ما الهاوية؟ فقال: سجّين. قال: وما سجّين؟ قال: جبال من جمر توقد علينا إلىٰ يوم القيامة. قال: فما قلتم وما قيل لكم؟ قال: قلنا ردُّونا إلىٰ الدنيا فنزهد فيها. قيل لنا: كذبتم. قال: ويحك كيف لم يكلّمني غيرك من بينهم؟ قال: يا روح الله إنهم ملجّمون بلجام من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد، وإني كنت فيهم ولم أكن منهم، فلمّا نزل العذاب عمّني معهم؛ فأنا معلّق بشعرة علىٰ شفير جهنّم لا أدري أكبكب فيها أم أنجو منها.

فالتفت عيسىٰ عليه السلام إلىٰ الحواريين فقال: يا أولياء الله أكل الخبز اليابس بالملح الجريش والنوم علىٰ المزابل خير كثير مع عافية الدنيا والآخرة»[1].

١٧ ـ قال أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «ما فتح الله علىٰ عبد باباً من أمر الدنيا إلاّ فتح الله عليه من الحرص مثله»[2].

---

(١) الكافي، ج٢، ص٣١٨، (باب حب الدنيا والحرص عليها).

(٢) المصدر السابق، ص٣١٩.

وروي عنه أيضاً أنَّه قال: «قال عيسىٰ ابن مريم عليه السلام: تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلاّ بالعمل، ويلكم علماء سوء، والأجر تأخذون، والعمل تضيّعون. يوشك رب العمل أن يُقبل عمله، ويوشك أن يخرج من ضيق الدنيا إلىٰ ظلمة القبر. كيف يكون من أهل العلم من هو في مسيره إلى آخرته وهو مقبل علىٰ دنياه، وما يضرّه أحب إليه مما ينفعه»[1].

قال أحد الشعراء في ذم حب الدنيا:

تخرب ما يبقىٰ وتعمر فانياً فلا ذاك موفور ولا ذاك عامر
وهل لك ان وافاك حتفك بغتة فلم تكتسب خيراً لدىٰ الله عاذر
أترضىٰ بأن تفنىٰ الحياة وتنقضي ودينك منقوص ومالك وافر[2]

وقال آخر في ذات المعنىٰ أيضاً:

يا خاطب الدنيا إلىٰ نفسها تنحّ عن خطبتها تسلمِ
إن التي تنكح غرّارة قريبة العرس من المأتم

قال المسيح عليه السلام: «مثل الدنيا والآخرة كمثل رجل له ضرّتان إن أرضىٰ إحداهما سخطت الأخرىٰ»[3].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «كان عيسىٰ ابن مريم يقول لأصحابه: يا بني آدم اهربوا من الدنيا وأخرجوا قلوبكم عنها فإنَّكم لا

---

(١) المصدر السابق.
(٢) الصحيفة السجادية، ص٥١٣.
(٣) روضة الواعظين، ص٤٤٨.

تصلحون لها ولا تصلح لكم ولا تبقون فيها ولا تبقىٰ لكم هي الخدّاعة والفجّاعة المغرور من اغترّ بها، المغبون من اطمأنّ إليها، الهالك من أحبّها وأرادها. فتوبوا إلىٰ الله بارئكم واتقوا ربّكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً. أين آباؤكم؟ أين أمهاتكم؟ أين إخوانكم؟ أين أخواتكم؟ أين أولادكم؟ دُعوا فأجابوا، واستودعوا الثرىٰ وجاوروا الموتىٰ، وصاروا في الهلكىٰ وخرجوا من الدنيا، وفارقوا الأحبة، واحتاجوا إلىٰ ما قدّموا، واستغنوا عمّا خلفوا.

كم توعظون؟ وكم تُزجرون وأنتم لاهون ساهون؟ مثلكم في الدنيا مثل البهائم همّتكم فروجكم وبطونكم. أما تستحيون ممن خلقكم قد وعد من عصاه النار ولستم ممَّن يقوىٰ علىٰ النار، ووعد من أطاعه الجنّة ومجاورته في الفردوس الأعلىٰ فتنافسوا فيه وكونوا من أهله.

وانصفوا من أنفسكم وتعطّفوا علىٰ ضعفائكم من أهل الحاجة منكم وتوبوا إلىٰ الله توبة نصوحاً، وكونوا عبيداً أبراراً ولا تكونوا ملوكاً جبابرة ولا من العتاة الفراعنة المتمرّدين علىٰ من قهرهم بالموت جبَّار الجبابرة، رب السموات ورب الأرض وإله الأولين والآخرين ملك يوم الدين، شديد العقاب، الأليم العذاب، لا ينجو منه ظالم، ولا يفوته شيء ولا يعزُب عنه شيء ولا يتوارىٰ منه شيء.

أحصىٰ كل شيء علمه، وأنزله منزله في الجنّة والنار، ابن آدم الضعيف أين تهرب ممَّن يطلبك في سواد ليلك وبياض نهارك وفي كل حالٍ من حالاتك؟

قد أبلغ من وعظ، وأفلح من اتعظ، قال الله تعالىٰ: يا موسىٰ إن

الدنيا دار عقوبة وجعلتها ملعونة، ملعون ما فيها «إلا ما كان لي». يا موسىٰ إن عبادي الصالحين زهدوا فيها بقدر علمهم، وسائرهم من خلقي رغبوا فيها بقدر جهلهم. وما من أحد من خلقي عظّمها فقرّت عينه، ولم يحقّرها إلاّ انتفع بها»[1].

ثم قال الصادق عليه السلام: «إن قدرتم أن لا تُعرفوا فافعلوا، وما عليك إن لم يثنِ عليك الناس، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت عند الله محموداً. إن علياً عليه السلام كان يقول: لا خير في الدنيا إلاّ لرجلين: رجل يزداد كل يوم إحساناً، ورجل يتدارك سيّئة بالتوبة. وأنّىٰ له بالتوبة، والله لو سجد حتىٰ ينقطع عنقه ما قَبِل الله منه إلاّ بولايتنا أهل البيت»[2].

وروى ابن أبي يعفور، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «من تعلّق قلبه بالدنيا، تعلّق قلبه بثلاث خصال: همٌّ لا يفنىٰ، وأمل لا يدرك، ورجاء لا ينال»[3]. وعنه عليه السلام قال: «أبعد ما يكون العبد من الله عز وجل إذا لم يهمّه إلا بطنه وفرجه»[4].

روي عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: «من أصبح وأمسىٰ والدنيا أكبر همّه، جعل الله تعالىٰ الفقر بين عينيه، وشتّت أمره، ولم ينل من

---

(١) سبقت الإشارة في بداية هذا البحث إلىٰ أن الدنيا المذمومة هي تلك التي يبتغيها المرء لذاتها، ولكنها إذا كانت وسيلة للتقرب إلىٰ الله ولنيل رضاه فلا مذمة عليها، لا بل ممدوحة. وهذا ما أكّده قول النبي عيسى في ما أوحىٰ به الله إلىٰ موسىٰ «إلا ما كان لي»، أي ان تتخذ الدنيا كوسيلة للتقرب إليه، من غير أن تجعل هدفاً وتُعبد من دون الله.

(٢) روضة الواعظين، ص٤٨٩ ـ ٤٩٠.

(٣) الكافي، ج٢، ص٣٢٠.

(٤) المصدر السابق، ص٣١٩.

الدنيا إلاَّ ما قسم الله له. ومن أصبح وأمسىٰ والآخرة أكبر همّه جعل الله الغنىٰ في قلبه وجمع له أمره»[1].

روي أنَّه جاء رجل إلىٰ علي بن الحسين عليه السلام يشكو إليه حاله، فقال عليه السلام:

«مسكين ابن آدم له في كل يوم ثلاث مصائب ولا يعتبر بواحدة منهن، ولو اعتبر لهانت عليه المصائب وأمر الدنيا. فأمَّا المصيبة الأولىٰ فاليوم الذي ينقص من عمره قال: وإن ناله نقصان في ماله اغتم، والدرهم يُخلف عنه والعمر لا يردّه شيء. والثانية انه يستوفي رزقه فإن كان حلالاً حوسب عليه، وإن كان حراماً عوقب. قال: والثالثة أعظم من ذلك. قيل: وما هي؟ قال: ما مِن يوم يُمسي إلاَّ وقد دنا من الآخرة بمرحلة، لا يدري علىٰ الجنة أم على النار»[2].

ونظم أحد الشعراء قصيدة في وصف الدنيا باللغة الفارسية، فيما يلي معانيها:

هكذا دأب الفلك الدوار فقد مرّ عليّ ستون عاماً

وعند رأس كل سنة أتحسر علىٰ محاسن العام الفائت

يا للعجب من هذا الدهر الذي أخذ ما كان قد أعطاني

ذهبت قوّة ذراعي وأرجلي وذهبت النضارة ولون الشعر

وانفرط عقد ثريا شبابي وتساقطت لآلىء أسناني بالتوالي

والشيء الباقي بلا عيب ثقل الذنوب وطول الأمل

---

(١) الكافي، ج٢، ص٣١٩.

(٢) الاختصاص، المفيد، ص٣٤٢ (طبعة مؤسسة الأعلمي).

وجاء نداء الرحيل من هذا المنزل وتأهب رفاق السفر للرحيل
آه من قلّة الزاد يوم المعاد وآه من طول الطريق وبعد السفر
أحمل علىٰ عاتقي كثقل الجبل حتّىٰ الجبل ناء من ثقل حملي
يا من يبدو الذنب أمام عظيم عفوك كقشة في سيل الربيع
إلهي إن لم تأخذني بفضلك ولم تتولاني بلطفك
لا سبيل أمامي سوىٰ جهنم وتكون عاقبة أمري نكراً
فأنا العبد الجاهل العاصي المتخبط في لجّة معاصيه
أنت رب الإحسان والكرم وليس للعبد إلا أمل مغفرتك(١)

وقال أحد الشعراء العرب:

هل لك يا مغرور من زاجر ... أو حاجزٍ عن جهلك الغامرِ
أمس تقضّىٰ وغداً لم يجيء ... واليوم يمضي لمحة الباصرِ
فذاك العمر كذا ينقضي ... ما أشبه الماضي بالغابر

قصة الفقير والغني

جاء في المجلد الثاني من كتاب الكافي، في باب فضل فقراء المسلمين ان الإمام الصادق عليه السلام قال: «جاء رجل موسر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله نقي الثوب فجلس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فجاء رجل معسر درن الثوب فجلس إلى جانب الموسر، فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذيه. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أخفت أن يمسّك من فقره شيء؟ قال: لا. فخفت أن يصيبه من غناك شيء؟ قال: لا. قال:

---

(١) أصل الشعر باللغة الفارسية:

از روش ايـن فـلـك سبـز فـام ... عمر گذشته است كه مرا شعت عام

فخفت أن يوسّخ ثيابك؟ قال: لا. قال: فما حملك علىٰ ما صنعت؟

فقال: يا رسول الله! إن لي قريناً يزيّن لي كل قبيح ويقبح لي كل حسن، وقد جعلت له نصف مالي. فقال رسول الله ﷺ للمعسر: أتقبل؟ قال: لا. فقال له الرجل: ولمَ؟ قال: أخاف أن يدخلني ما دخلك»[1].

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قال النبي ﷺ: طوبىٰ للمساكين بالصبر، وهم الذين يرون ملكوت السموات والأرض»[2].

وجاء عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال: «إذا كان يوم القيامة أمر الله تبارك وتعالىٰ منادياً ينادي بين يديه: أين الفقراء؟ فيقوم عنق من الناس كثير. فيقول: عبادي! فيقولون: لبَّيك ربّنا، فيقول: انّي لم أفقركم لهوانٍ بكم عليّ ولكنّي إنّما اخترتكم لمثل هذا اليوم. تصفّحوا وجوه الناس فمن صنع إليكم معروفاً لم يصنعه إلا فيّ فكافوه عنّي بالجنّة»[3][4].

وجاء في القرآن الكريم: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾[5].

يفهم من هذه الآية أن قصيري النظر ممن لا يستطيعون التفكير

---

(١) الكافي، ج٢، ص٢٦٣ (باب فضل فقراء المسلمين).

(٢) الكافي، ج٢، ص٢٦٣.

(٣) المصدر السابق، ص٢٦٣ ـ ٢٦٤.

(٤) يجب الالتفاف إلىٰ أن الفقر المحبوب عند الله هو ما اقترن بالصبر والعفاف وشريطة أن يكد الشخص ويسعىٰ. أما الذي يفتقر بسبب الكسل والانغماس في الراحة، فهو غير مكرّم في الرؤية الإسلامية.

(٥) سورة الزخرف، الآية: ٣١.

خارج إطار الشؤون المادّية ولا يوجد لديهم أي تصوّر عن الآفاق المعنوية وعالم الملكوت الأعلىٰ ولا يرون للسعادة واللذة معنىً إلا إذا تجسدت في الأمور الدنيوية، يبدو الأغنياء عظماء في نظرهم.

وجاء في القرآن الكريم أيضاً:

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾[1].

لذائذ الدنيا مقرونة بالألم والشقاء، وفي حلالها حساب وفي حرامها عقاب ولا تفي لصاحبها وسريعاً ما تنتقل إلىٰ الوارث. وكما قال الشاعر:

كل من جاء وبنىٰ بناءً جديداً رحل وترك المنزل لغيره[2]

وكما ان النجوم تزيّن السماء في الليل وتشاهد في أوقات الظلام، ولكنها لا ترىٰ في وضح النهار وفي نور الشمس، كذلك لذائذ الدنيا وزينتها جعلت للاختبار ولتمشية شؤون الدنيا، وهي ليست إلا نموذجاً للتذكير بنعم الجنة ولذائذها. ومن الطبيعي أن الناس يميلون إلىٰ الاستمتاع بهذه اللذائذ، إلا من أضاء قلوبهم نور اليقين والمعرفة والإيمان، فهؤلاء يزهدون بنعم الدنيا وزخرفها لقاء ما ينالونه في الجنة

---

(١) سورة الزخرف، الآيات: ٣٣ ـ ٣٥.

(٢) أصل الشعر باللغة الفارسية هو:

هركه آمد عمراني نوساخت رفت ومنزل به ديكرى برداخت

من نعم دائمة ولذة لا تفنىٰ. في حين أن من أسدلت علىٰ بصيرته غشاوة يرىٰ زخارف الدنيا كالنجوم، بينما الذي أضاء الإيمان قلبه يطغى نوره علىٰ نور تلك النجوم.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[(١)].

جُعلت كل زينة الدنيا وأموالها وزخرفها في هذه الحياة الدنيا. ومتىٰ ما تصوّر المرء بأنّه متعلق بهذه الأمور وأنَّ هذه الأمور متعلّقة به، فهذا يعني أنه متعلّق بالدنيا. والتعلّق بالدنيا ينم عن صنعة الإنسان وحقارته:

لأن الدنيا مؤنث الأدنىٰ والأدنىٰ هو من يطلب الدنيا[(٢)]

ولكن عندما يرىٰ الإنسان بأنّه متعلق بالله، يكون قد انتشل نفسه من الدناءة ووجهها نحو الله. وهذه هي مرحلة كماله ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[(٣)] فإذا كنا لله وإليه راجعون فذلك يعني عدم انتمائنا إلىٰ الدنيا.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾[(٤)].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٢) أصل الشعر باللغة الفارسية هو:

جونكه دنيا مؤنث أدنىٰ است هركه أدنىٰ است طالب دنيا است

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

(٤) سورة الزخرف، الآيات: ٥١ ـ ٥٣.

كان فرعون يظن أن زخرف الدنيا وزبرجها وما فيها من الأموال والأملاك والكلام المنمّق يعتبر دليلاً علىٰ عظمة الشخص، أو لعلّه كان يعرف الحقيقة ولكنه كان يريد التمويه علىٰ الناس. وهذا هو ما عبّر عنه القرآن الكريم بالآية الكريمة: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾[1].

قصة في هوان الدنيا

يحكىٰ أن الأمير أحمد بن إسماعيل الساماني خرج لمحاربة عمرو بن الليث. كان عدد جيش عمرو ما يقارب سبعين ألف مقاتل إضافة إلىٰ أعداد كبيرة من الأعوان والخدمة. أما عدد جيش الأمير أحمد فكان أقل من اثني عشر ألفاً. واصطف مقابل جيش عمرو وهو في حالة من الاضطراب وعدم الثقة بالنصر.

كان عمرو مغروراً بعدد وعدّة جيشه فجاء طباخ العسكر وطلب أن يقدّم الطعام للجيش وبعدها يبدأ القتال. إلا أن عمرو قال له: من الأفضل أن نهزم هذا الجيش القليل أولاً ونعود بعدها لتناول الطعام. ثم انه ركب فرسه وسار نحو الميدان. وشاءت المقادير أن الفرس سار به إلى جيش الأمير أحمد، وما إن رآه الجنود حتىٰ قبضوا عليه وقيدوه بالسلاسل وهاجموا جيشه وهزموه.

أصدر الأمير أحمد بحبس عمرو في الإسطبل، ومنعوا عنه الطعام ثلاثة أيام. وبعد تلك الأيام الثلاثة رأىٰ أحد الخدم فقال له: لم أتناول

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٥٤.

طعاماً منذ ثلاثة أيام وقد أوشكت على الموت من شدّة الجوع. فأخذ الخادم دلواً من السائس وجلب فيه طعاماً، ووضعه على الأرض وذهب لجلب إناء آخر، وفي تلك الأثناء جاء كلب وأدخل رأسه في الدلو وبدأ يأكل من الطعام الموجود فيه. وجاء الخادم ووجد الكلب على تلك الحالة فزجره، ولما أراد أن يخرج رأسه من الدلو، تعلّق مقبض الدلو في رقبته، فهرب والدلو في رقبته. ولما رأى عمرو هذا المشهد أخذه الضحك.

سأله السائس عن سبب ضحكه فقال: أضحك لهوان الدنيا؛ فقبل ثلاثة أيام قيل لي إنَّ ثلاثمائة بعير تحمل معدّات الطبخ، وأرى الآن أن الكلب أخذ طعامي وهرب(١).

وما أجمل ما قاله الشاعر باللغة الفارسية:

القصر الذي تراه مرة لك ومرّة لي ولا يبقى إلى الأبد لا لك ولا لي

ولما كان الدهر لا يدوم لأحد فلا جدوى حتى لو كانت الشمس لك والقمر لي

قال النسر للبلبل إن الربيع لا يبقى
لا تبكي عبثاً فالورد لك والنبت لي(٢)

---

(١) كتاب «كيفر كناه» (أي عقاب الذنوب)، ج٢.

(٢) أصل الشعر بالفارسية هو:

این کاخ که می بینی كاه از تو كاه از من　　جاوید نمی ماند خواه از تو وخواه از من

کردون جو نمی کردد برکام کسی هرکز　　کیرم که تواند بود مهر از تو ماه از من

بازی بهرازی کفت همواره بهاری نیست　　بیهوده جرا نالی کل از تو کیاه از من

آل أمر الخلافة عام ٣٢٠ هـ. في بغداد من بعد المقتدر إلىٰ محمد بن أحمد المعتضد الملقّب بالقاهر بالله فقبض على آل المقتدر وأكثر من تعذيبهم، وقبض علىٰ ابن أخيه المكتفي وحبسه في غرفة وبناها عليه بالجص والآجر إلىٰ أن مات فيها، وألقىٰ القبض علىٰ «سيّدة» أم المقتدر وضربها وشنقها إلىٰ أن ماتت.

كان القاهر متلوّن الطباع وشديد البطش. وقبض علىٰ مؤنس الخادم وجماعة من رجال الدولة وقتلهم. وفي عام ٣٢٢هـ. هجموا على داره وقبضوا عليه وسملوا عينيه، وخلعوه من الخلافة. ودامت مدّة خلافته سنة وستة أشهر وستة أيَّام.

ونقل أن رجلاً قال: كنت أصلّي في جامع المنصور ببغداد، فرأيت رجلاً أعمىٰ عليه جبّة مندرسة ومهلهلة ذهبت ألوانها، وكان يقول: يا عباد الله تصدّقوا عليّ فأنا كنت بالأمس أمير المؤمنين، وأصبحت اليوم من فقراء المسلمين. فسألت من هذا؟ قيل: هذا القاهر بالله العبّاسي[1].

آلت الخلافة من القاهر بالله إلىٰ الراضي بالله محمد بن جعفر بن المقتدر، ودامت خلافته ست سنوات وأحد عشر شهراً وثلاثة أيام. ومات بمرض الاستسقاء الذي تعود أكثر أسبابه إلى كثرة الجماع. وصارت الخلافة من بعده لأخيه المتّقي بالله في عام ٣٢٩، حيث غلب أبو الوفاء تورون علىٰ بغداد وقبض علىٰ المتقي بالله ووزيره ابن مقلة

---

(١) تتمة المنتهىٰ، ص٣٨٨.

ونهب ماله، وبايع المستكفي بالله، وسمل عيني المتقي بالله. كانت خلافة المتقي أربع سنوات إلاّ سبعة أيام.

استمرت خلافة المستكفي حوالىٰ أربع سنوات ونصف. وكان قبل خلافته لا يشرب النبيذ. ولما صار خليفة أخذ يشربه. وجاء في «أخبار الدول» إن معز الدولة الديلمي عندما جاء إلىٰ بغداد خلع عليه المستكفي وفوّض إليه شؤون الدولة وأمر بضرب النقود باسمه، وأن يخطب علىٰ المنابر باسمه. وبعد مدّة بلغ معز الدولة أن المستكفي يدبّر لقتله. فدخل معز الدولة علىٰ المستكفي وقبّل يده، فأمر الخليفة فوضع له كرسي فجلس عليه. وبعد فترة دخل رجلان من الديلم وفتحا أيديهما بجانب المستكفي فظن أنهما يريدان تقبيل يديه، فقدم لهما يديه فأخذاهما وسحباه من كرسيّه إلىٰ الأرض وجرّوه ولفّوا عمامته علىٰ رقبته وأهانوه وخلعوا عنه ثياب الخلافة وسملوا عينيه وخلعوه من الخلافة. فاجتمع ثلاثة خلفاء عميان في بغداد وهم القاهر بالله، والمستكفي بالله، والمتّقي بالله. ثم نهبوا دار الخلافة. وبقي المستكفي إلى سنة ٣٤٣ حيث توفي في دار معز الدولة[١].

من قصص حب الدنيا

ذكر الشاعر سعدي الشيرازي في كتابه «كلستان» (روضة الورد) أنَّ أحد الملوك لمَّا رأىٰ أن مدّة عمره قد قاربت نهايتها ولم يكن له وارث يقوم مقامه أوصىٰ بأن يوضع تاج السلطنة علىٰ رأس أول داخل عند الصباح من باب المدينة، وأن تفوّض له أمور المملكة. واتفق أن أول

---

(١) تتمة المنتهىٰ، ص٤٠٧.

من دخل متسوّل كان طول عمره يجمع قوته لقمة فلقمة وكساؤه خرقة فخرقة. فنفّذ أركان الدولة وأعيان المملكة وصية الملك ففوضوا إليه الملك والخزائن وأطاعوا أمره. فقام بإدارة المملكة مدّة من الزمن، ولكن بعض أمراء الدولة خلعت عن أعناقها ربق طاعته، وملوك الأقطار المجاورة قامت لمنازعته وجهّزت العساكر لمقاومته. وصفوة القول أنَّ الجند والرعية قلبت له ظهر المجن. وخرج قسم غير قليل من بلاده عن قبضة تصرّفه. فأصبح ذلك المسكين مشتت الأفكار مجروح الفؤاد مما حلّ به.

وفي تلك الأثناء عاد من السفر درويش كانت تربطه وإياه صداقة قوية في أيام الفاقة. فرآه في تلك المنزلة الرفيعة. فقال له: المنّة لله عز وجل إن كان السعد قائدك، والإقبال رائدك حتىٰ خرج وردك من شوك ذلّك، وشوك الحفا زال من رجلك، فتسنّمت ذروة العرش الرفيع، فإنَّ مع اليسر يسراً إن مع العسر يُسراً.

تعرىٰ من الورق الأشجار آونة والزهر في الروض يذوي ثم يزدهرُ

فقال له الملك: أيّها الأخ إن التعزية في هذا المقام أليق من التهنئة، ألا ترىٰ أن همي في ذلك الحين رغيف خبز أسدُّ به رمقي، وأما اليوم فإنَّ سقمي من كل ما في الدنيا.

تلوّعنا الدنيا إذا لم تواتنا وإن هي واتتنا ففي حبّها السم
فما فتنة منها أشد علىٰ الورىٰ بلاء وكلتا حالتيها لنا همّ

❊ ❊ ❊

إذا رمت الغنىٰ فحذار تبغي سوىٰ ملك القناعة في الوجود

وإن نثر الغني التبر نثراً فلا تحسبه عن كرم وجود
فما بذل الغني كصبر ثاوٍ علىٰ الرمضاء في دنيا الجدود[1]

---

(١) أصل الأشعار باللغة الفارسية علىٰ التوالي :

شكوفه كاه شكفته هست وكاه خوشيده　　درخت وقت برهنه وقت بوشيده
أكر دنيا نباشد دردمنديم　　وكر باشد بمهرش باى بنديم
حجابى زين درون آشوبتر نيست　　كه رنج خاطر است آر هست وكر نيست
مطلب كر توانكرى خواهى　　جز قناعت كه دولتيست هني
كر غنى زر بدامن افشاند　　تا نظر در ثواب او نكنى
كز بزركان شنيده ام بسيار　　صبر درويش به كه بذل غنى

١١ ـ الرياء

نقل العلاّمة المجلسي في كتابه «بحار الأنوار» عن بعض المحققين في معنىٰ الرياء، قائلاً: أصل الرياء طلب المنزلة في قلوب الناس باراءتهم خصال الخير. إلاّ أن الجاه والمنزلة يُطلب في القلب بأعمال سوىٰ العبادات ويطلب بالعبادات. واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات وإظهارها. وهو علىٰ خمسة أقسام وهي مجامع ما يتزيّن به العبد للناس، وهو البدن، والزي، والقول، والعمل، والاتباع والأشياء الخارجة. وأهل الدنيا يراؤون بهذه الأسباب الخمسة. إلاّ ان قصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهون من الرياء بالطاعات.

أقسام الرياء

١ ـ الرياء في الدين من جهة البدن. وذلك بإظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدّة الاجتهاد، وعظم الحزن علىٰ أمر الدين، وغلبة خوف الآخرة. وأمّا أهل الدنيا فيراؤون بإظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الأعضاء.

٢ ـ الرياء بالزي والهيئة كلبس غليظ الثياب والصوف لإظهار الاقتداء بالسنّة والاقتداء بالصالحين. وأما أهل الدنيا فمراءاتهم بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة وأنواع التجمل.

٣ ـ الرياء بالقول والوعظ والتذكير، وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس. وإظهار الغضب للمنكرات، وإظهار الأسف علىٰ مقارفة الناس بالمعاصي. وأما أهل الدنيا فمراءاتهم بالقول بحفظ الأمثال والأشعار وإظهار التودّد إلىٰ الناس لاستمالة القلوب.

٤ ـ الرياء في العمل كمراءاة المصلّي بطول القيام وتطويل الركوع والسجود وإظهار الخشوع وتسوية القدمين واليدين. وأما أهل الدنيا فمراءاتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين ليدلّوا بذلك على الجاه والحشمة.

٥ ـ المراءاة بالأصحاب والزائرين والمخالطين كالذي يتكلّف أن يزور عالماً من العلماء ليقال إن فلاناً قد زار فلاناً. ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته، ومنهم من يريد التوصّل بذلك إلىٰ جمع الحطام وكسب المال[١].

ومن الأحاديث الواردة في هذا الباب قول رسول الله ﷺ: «يؤمر برجال إلىٰ النار، فيقول الله جل جلاله لمالك: قل للنار لا تحرق لهم أقداماً فقد كانوا يمشون إلىٰ المساجد، ولا تحرق لهم وجهاً فقد كانوا يسبغون الوضوء، ولا تحرق لهم أيدياً فقد كانوا يرفعونها بالدعاء، ولا تحرق لهم ألسناً فقد كانوا يكثرون تلاوة القرآن. قال:

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٢، ص٢٦٦.

فيقول لهم خازن النار: يا أشقياء ما كان حالكم؟ قالوا: كُنا نعمل لغير الله عز وجل. فقيل خذوا ثوابكم ممن عملتم له»[1].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «قال لقمان لابنه: للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان الناس عنده ويتعرّض في كل أمر للمحمدة»[2].

شهادة المؤمنين مفيدة حتّى للمرائي

قال الإمام أبو جعفر عليه السلام: «كان في بني إسرائيل عابد فأعجب به داوود عليه السلام، فأوحىٰ الله تبارك وتعالىٰ إليه: لا يُعجبنّك شيء من أمره فإنَّه مراءٍ. فمات الرجل فأُتي داوود فقيل له: مات الرجل. فقال: ادفنوا صاحبكم. فأنكرت ذلك بنو إسرائيل، وقالوا: كيف لم يحضره.

فلمَّا غُسّل قام خمسون رجلاً فشهدوا بالله ما يعلمون إلاّ خيراً. فلمَّا صلوا عليه قام خمسون رجلاً فشهدوا بالله ما يعلمون إلاّ خيراً. فأوحىٰ الله عز وجل إلىٰ داوود: ما منعك أن تشهد فلاناً؟ قال: الذي أطلعتني عليه من أمره. قال: إنَّه كان لكذلك ولكن شهده قوم من الأحبار والرهبان فشهدوا بي: ما يعلمون إلاّ خيراً. فأجزت شهادتهم عليه وغفرت له مع علمي فيه»[3].

وروي أن رجلاً من بني إسرائيل قال: لأعبدنّ الله عبادة أُذكر بها. فمكث مدّة مبالغاً في الطاعات، وجعل لا يمر بملأ من النّاس إلاّ

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٢، ص٢٩٦.

(٢) قرب الإسناد، ص١٢٨، الخصال، ص١٢١.

(٣) بحار الأنوار، ج٧٢، ص٣٠٢.

قالوا: متصنّع مراء. فأقبل على نفسه وقال: قد أتعبت نفسك وضيّعت عمرك في لا شيء. فينبغي أن تعمل لله سبحانه. فغيّر نيّته وأخلص لله عمله. فجعل لا يمر بملأ من الناس إلا قالوا: ورع تقي[١].

قال المرحوم الملا أحمد النراقي في الرياء:

إذا لم يكن المرائي في مقام المجاهدة ولم يكن كارهاً مما يجد في نفسه من الميل إلىٰ الرياء، بل اعطىٰ زمام الاختيار إلىٰ النفس الأمّارة، وهي ترائي في الأعمال وهو يتبعها في ذلك من غير قهرٍ عليها وكراهية لفعلها، فلا ريب في فساد أعماله وأولوية تركها. هذا فيما يخص الطاعات اللازمة التي لا تعلّق لها بالغير، كالصلاة والصوم والحج وأمثالها. وأمّا بالنسبة إلىٰ الطاعات المتعدية التي لها تعلّق بالخلق كالإمامة والقضاء والحكومة والإفتاء والوعظ والتدريس والإنفاق وغير ذلك فأخطارها عظيمة ومثوبتها جسيمة. فمن له أهلية ذلك من حيث العلم ـ إذا كان ذا نفس قوية لا تعتني بالناس ولا تزعجها وساوس الخنّاس، وله معرفة تامّة بعظمة ربّه وقدرته وسائر صفاته الكمالية، بحيث لا يشغله شاغل عن الالتفات إلىٰ الخلق وما في أيديهم حتّى يُرائي لأجلهم أو يختار رضاهم علىٰ رضا ربّه ـ فالأولىٰ لمثله أن لا يترك هذه المناصب ليفوز بمثوبتها العظيمة. وإن كان ذا نفس ضعيفة كخيط مرسل في الهواء تفيئها الريح مرّة هكذا ومرّة هكذا، فهو لا يأمن الرياء وسائر أخطاره، فاللازم لمثله تركها. ولذلك كان أهل اليقين من السلف يتدافعون هذه المناصب ولا يسعون وراءها[٢].

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٢، ص٣٠٤.

(٢) النراقي، أحمد، جامع السعادات، ج٢، ص٣٩٣، (طبعة مؤسسة اسماعيليان).

١٢ ـ الحميّة والعصبيّة

التعصب الباطل هو إعانة الأهل والقوم والعشيرة علىٰ ظلمهم وباطلهم. والحمية الباطلة هي عدم الاستعداد للتسليم للحق والإذعان له.

وأمّا العصبية في الدين والذود عنه، ودفاع المرء عن حقوقه وحقوق أقاربه ومقارعة الظلم في إطار وطنه وقومه فهو عمل محمود، بل يصبح في بعض الحالات واجباً. أمّا إذا لم تكن العصبية في موضعها فتكون سبباً لاقتراف الذنوب وتؤدي بصاحبها أحياناً إلىٰ الشقاء والهلاك.

روايات في ذم العصبية

١ ـ روي عن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنّه قال: «من تعصّب أو تُعصّب له فقد خلع ربقة الإيمان من عنقه»[١].

٢ ـ وعنه عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله من كان في قلبه حبّة من خردل من عصبية بعثه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية»[٢].

---

(١) الكافي، ج٢، ص٣٠٧، (باب العصبية).

(٢) الكافي، ج٢، ص٣٠٨، (باب العصبية).

٣ ـ وعنه أيضاً عليه السلام قال: «إن الملائكة كانوا يحسبون أن إبليس منهم وكان في علم الله أنّه ليس منهم فاستخرج ما في نفسه بالحمية والغضب فقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[1]»[2].

٤ ـ عن الزهري قال: سئل علي بن الحسين عليه السلام عن العصبية فقال: «العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرىٰ الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين. وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه ولكن من العصبية أن يعين قومه علىٰ الظلم»[3].

التعصب للحق

قال تعالىٰ في كتابه الكريم: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾[4].

الخطاب في هذه الآية موجّه إلىٰ الرسول الكريم صلى الله عليه وآله حيث يؤكد عليه الباري تعالىٰ بما أنك علىٰ حق، وبما أن النهج الذي رسمه لك القرآن نهج قويم وغايته التوعية وإيقاظ الناس فعليك بالتمسك به بشدّة، وهذا هو معنىٰ «التعصّب للحق»، الذي أمر به الباري عزّ وجل، في مقابل التعصب للباطل الذي يتبعه أعداء الحق سيراً علىٰ نهج آبائهم والحفاظ علىٰ العادات والتقاليد الباطلة، ممن يرون أن الحفاظ علىٰ كيانهم ومكانتهم يستلزم احترام وتقديس الخرافات البالية والسيرة المغلوطة التي كان يسير عليها أسلافهم.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٢.

(٢) الكافي، ج٢، ص٣٠٨، (باب العصبية).

(٣) الكافي، ج٢، ص٣٠٨، (باب العصبية).

(٤) سورة الزخرف، الآيتان: ٤٣ ـ ٤٤.

كتب العالم المصري المسلم محمد الغزالي في هذا المجال ما يلي:

«أبيّن معنىٰ العصبية بذكر مثال ليكون معناه بعيداً عن التعصب المغلوط والرجعي، ودفعاً لاحتمال وقوعنا في أنواع جديدة من التعصّب في نفس الوقت الذي ندّعي فيه مناهضة التعصب. افترض أن في يدك شيئاً نفيساً وجاء اللصوص وحاولوا انتزاعه منك بالقوّة، وفي تلك الأثناء يتناهىٰ إليك صوت حارس رؤوف يناديك ويحثّك علىٰ التمسّك بما في يدك بقوّة. ومعنىٰ هذا أنك يجب أن تحكم قبضتك إلىٰ غاية ما تستطيع، وأن تركز قواك في مقابل الأعداء جهد المستطاع، وأن تقاوم ولا تتراجع ولا تستسلم».

والآيات الإلهية التي تتناهىٰ إلىٰ قلوب العباد مثلها كمثل هذا الحارس الأمين الحريص. أي يوجد في ضمير كل مؤمن هاتف من قبل هذه الآيات يهتف في أعماق روحه ويقول له متىٰ ما شبّت الفتن وحيكت المؤامرات وانتشر قراصنة العقائد وسرّاق المبادىء، فهو يصرخ في أعماقه[1]: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾[2].

---

(١) بيامبر نور، ص٢٣٢.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٤٣.

١٣ ـ اتباع هوىٰ النفس

من الأمور التي تكون سبباً للكثير من الذنوب والمعاصي، اتباع هوىٰ النفس (فيما إذا كان محرّماً في الشريعة) وذلك لأن الانقياد للأهواء النفسية يحيد بالإنسان عن جادّة الصواب ويسوقه نحو المعاصي والخرافات والباطل، ويوقعه في مصيدة الشيطان ويحجبه عن اتّباع الحق.

اتباع النفس الأمّارة

قال تعالىٰ في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾[١].

لقد غرس الله في كيان الإنسان غرائز لحكمة ومصلحة هو يعلمها كغريزة الشهوة الجنسية، وغريزة حب المال، وحب الأولاد، وحب زينة الحياة الدنيا، وما شابه ذلك، وأمره أن يهذّب هذه الغرائز لتكون في حدود ما أمر الله ولا تتعداها. وفرض عليه أن يشبع الغريزة الجنسية مثلاً في الحدود المشروعة ولا يتجاوزها إلىٰ المحرمات. وأباح له سبل الحصول علىٰ المال في إطار ضوابط معينة ولم يأذن له بالتعدي علىٰ

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٥٣.

حقوق الآخرين. وسمح له بأن يحب زوجته وأولاده ولكن إلىٰ حدّ معين. ولم يحرم عليه الاستمتاع بزينة الحياة، ولكن بشرط أن لا ينهمك فيها إلىٰ الحد الذي ينسيه ذكر الله وطاعته والعمل للآخرة.

وخلاصة القول هي أن دوافع أعمال السوء مغروسة في ذات الإنسان، والشيء الذي يحول دونها حكم الشرع والعقل. فإذا لم يستخدم المرء عقله ولم يكن ذا إيمان وعقيدة وخوف من عقاب الآخرة، فلا يوجد عندئذ ثمة مانع يحول دون تمرّد النفس وارتكابها لما يضر بالفرد والمجتمع.

قال تعالىٰ في كتابه الكريم: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ (٤١)﴾[١].

إذاً فاتباع هوىٰ النفس والامتثال لتغرير الشيطان، والتمرد علىٰ أوامر الرحمن يوقع المرء في قعر جهنّم. وعلىٰ العكس منه إذا امتثل للأحكام الإلهية ونهىٰ نفسه عن الهوىٰ، وسار في ضوء تعاليم الأنبياء عليهم السلام وفي خط الأئمة الأطهار فإنه يتسامىٰ من قعر الفقر والمذلة إلىٰ ذرىٰ العز ويكون نصيبه في الآخرة الجنة.

اتباع الشهوات

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حُفّت الجنّة بالمكاره والنار بالشهوات»[٢].

هذه الصورة التي رسمها رسول الله صلى الله عليه وآله عن الجنّة والنار يعود

---

(١) سورة النازعات، الآيتان: ٣٧ ـ ٤١.

(٢) روضة الواعظين، ص٤٢١.

سببها إلىٰ أن تسليم قياد النفس بيد العقل والدين يتعارض مع طغيان النفس وتمرّدها وهواها ويؤدي إلىٰ استيائها وتثاقلها، بينما إذا تركت علىٰ هواها فإن ذلك ينسجم مع رغبتها وميلها. وبما أن ضبط زمامها مقرون بالصعوبة والمشقة، لا بد إذاً من تجاوز هذه الصعاب من أجل الوصول إلى الجنّة. في حين ان إطلاق زمام النفس وتركها علىٰ هواها وشهواتها ومناها فلا يقودها إلاّ إلىٰ النار.

روىٰ أبو محمد الوابشي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فليس شيء أعدىٰ للرجال من اتباع أهوائهم وحصائد ألسنتهم»[١].

وورد عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله يقول الله عز وجل: وعزّتي وجلالي وعظمتي وكبريائي ونوري وعلوّي وارتفاع مكاني لا يؤثِر عبد هواه على هواي إلا شتّت عليه أمره، ولبّست عليه دنياه وشغلت قلبه بها، ولم أؤته منها إلا ما قدّرت له. وعزّتي وجلالي وعظمتي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواي علىٰ هواه إلا استحفظته ملائكتي وكفّلت السموات والأرضين رزقه، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر وأتته الدنيا وهي راغمة»[٢].

روىٰ يحيىٰ بن عقيل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «إنّما أخاف عليكم اثنين: اتباع الهوىٰ وطول الأمل. أما اتباع الهوىٰ فإنّه يصد عن الحق وأمّا طول الأمل فيُنسي الآخرة»[٣].

---

(١) الكافي، ج٢، ص٣٣٥، (باب اتباع الهوىٰ).
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

وقال الشاعر باللغة الفارسية ما معناه:

إياك واتباع هوىٰ النفس فإنَّه ليس أقل بطشاً من عفريت البيداء[1]

إن الكثير من الآلام المبرحة والأمراض النفسية والاجتماعية التي تصيب الإنسان ناجمة عن اتباع هوىٰ النفس. وتأتي معالجتها في المرحلة الأولىٰ في كبح جماح تلك الرغبات والأهواء. ومن أبرز الأمثلة علىٰ الأمراض الناتجة عن اتباع هوىٰ النفس، حالات الإدمان علىٰ المشروبات الكحولية، والمخدّرات، والقمار. وليس ثمة علاج لهذه الأمراض أنجع من الانتهاء عن هذه الخصلة القبيحة ولجم النفس عن الانقياد لهواها. وهذا العلاج سهل يسير فيما لو كان زمام النفس باليد لأنَّ المرء يستطيع عندئذ كبح جماحها والسيطرة عليها. ولكن هيهات أن يتاح ذلك بعد إفلات الزمام من اليد، وبعدما يرديه هوىٰ النفس في مهاوي الرذيلة، وبعدما تتغلغل تلك الأهواء في أعماق روحه، وينغرس سرطان العادات القبيحة في غياهب نفسه. فكيف يمكنه الخلاص من هذا المأزق؟ وهل ثمة عدو أقدر علىٰ فعل ذلك من نفسه الأمّارة؟!

قال الإمام الصادق عليه السلام: «لا تدع النفس وهواها فإن هواها رداها، وترك النفس وما تهوىٰ أذاها، وكف النفس عما تهوىٰ دواؤها»[2].

من الطبيعي ان الانقياد لأهواء النفس لا ينسجم مع طاعة الله.

---

(١) أصل الشعر باللغة الفارسية:

حذر از پيروى نفس كه در راه خدا   مردم افكن تر از اين غول بياباني نيست

(٢) الكافي، ج٢، ص٣٣٦، (باب اتباع الهوىٰ).

والامتثال لأهواء النفس يؤجج في قلب ابن آدم نار الحرص ويسلبه راحته واستقراره ويوقعه في دوامة التهالك علىٰ جمع المال ليلاً ونهاراً، والاستزادة من الثروة وينسيه ذكر الله.

فقد ورد في الحديث الشريف: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوًى متّبع، وإعجاب المرء بنفسه»[1].

قصّة في اتباع هوى النفس بين ملك النوبة وعبد الله بن مروان

سأل المنصور ليلة عن عبدالله بن مروان بن محمد، فقال له الربيع: إنَّه في سجن أمير المؤمنين حيّاً. فقال المنصور: قد كان بلغني كلام خاطبه به ملك النوبة لما قَدِم دياره، وأنا أحب أن أسمعه من فيه، فليؤمر بإحضاره. فأُحضر، فلما دخل خاطب المنصور بالخلافة. فأمره المنصور بالجلوس، فجلس وللقيد في رجليه خشخشة.

قال: أحب أن تسمعني كلاماً قاله لك ملك النوبة حيث غشيت بلاده. قال: نعم، قدمت إلىٰ بلد النوبة فأقمت أياماً فاتصل خبرنا بالملك، فأرسل إلينا فرشاً وبسطاً وطعاماً كثيراً وأفرد لنا منازل واسعة. ثم جاءني ومعه خمسون من أصحابه، بأيديهم الحراب. فقمت إليه فاستقبلته، وتنحيّت له عن صدر المجلس، فلم يجلس فيه وقعد علىٰ الأرض. فقلت له: ما منعك من القعود علىٰ الفرش؟ قال: إنّي ملك، وحق الملك أن يتواضع لله ولعظمته إذا رأىٰ نعمة متجددة عنده. ولما رأيت تجدد نعمة الله عندي بقصدكم بلادي واستجارتكم بي بعد عزّكم وملككم، قابلت هذه النعمة بما ترىٰ من الخضوع والتواضع.

---

(١) عوالي اللآلىء، ج١، ص٢٧٣.

ثم سكت وسكتُ، فلبثنا ما شاء الله، لا يتكلم ولا أتكلم وأصحابه قيام بالحراب على رأسه. ثم قال لي: لماذا شربتم الخمر وهي محرّمة عليكم في كتابكم؟ فقلتُ: اجترأ على ذلك عبيدنا بجهلهم. قال: فلم وطِئتم الزروع بدوابّكم والفساد محرّم عليكم في كتابكم ودينكم؟ قلت: فعل ذلك أتباعنا وعمّالنا جهلاً منهم. قال: فلمَ لبستم الحرير والديباج والذهب وهو محرم عليكم في كتابكم ودينكم؟ قلت: استعنّا في أعمالنا بقوم من أبناء العجم كتّاب، دخلوا في ديننا، فلبسوا ذلك اتباعاً لسنّة سلفهم، على كرهٍ منا. فأطرق ملياً إلى الأرض يقلّب يده وينكث الأرض ثم قال: عبيدنا وأتباعنا وعمّالنا وكتّابنا! ما الأمر كما ذكرت، ولكنكم قوم استحللتم ما حرّم الله عليكم، وركبتم ما عنه نُهيتم، وظلمتم فيما مُلّكتم، فسلبكم الله العز وألبسكم الذل، وان له سبحانه فيكم لنقمة لم تبلغ غايتها بعد، وأنا خائف أن يحل بكم العذاب وأنتم بأرضي فينالني معكم. والضيافة ثلاث، فاطلبوا ما احتجتم إليه، وارتحلوا عن أرضي. فأخذ ما تزودنا به، وارتحلنا عن بلده. فتعجب المنصور من ذلك وأمر بإعادته إلى الحبس[1].

قال الباري تعالى في كتابه الكريم: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾[2].

يعود السبب الأساسي لمعارضة بعض الناس لدعوات الأنبياء، إلى ما يعتمل في نفوس اولئك القوم من أهواء نفسية. فأمثال هؤلاء القوم

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٧، ص١٦٢، (طبعة دار إحياء الكتب العربية).
(٢) سورة الفرقان، الآيتان: ٤٣ ـ ٤٤.

ليس لهم في الواقع من معبود غير النفس الطاغية المتمرّدة. ومن هنا نلاحظ أن الآيات المذكورة أعلاه، سبقتها آيات أخرىٰ هي: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾.

إن النكوص الأخلاقي الذي يشهده العصر الحديث لا يعزىٰ إلىٰ وجود ظاهرة عبادة الأصنام في البيئة الإسلامية أو في الدول المتقدّمة، ولكن من المؤكد أن أسبابه تعود إلىٰ الأهواء والنزعات النفسية الموجودة في أكثر القلوب، وباعثه الرغبة في مجاراة النفس فيما تهوىٰ وتشتهي، وحتىٰ العلم والدين سخّرا من أجل هذه الغاية الوضيعة، ويقبلون العلم والدين فيما إذا لم يتعارضا مع هذه النزعة.

يُنسب إلى الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال: «الناس عبيد الدنيا والدين لغو علىٰ ألسنتهم يحوطونه ما درّت به معايشهم فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الديّانون»[1].

دوافع اتباع الهوى

مثلما ان الهوىٰ سبب لاقتراف الكثير من الذنوب فإن له أيضاً جذوراً ودوافع يشير إليها القرآن الكريم بالآيات البيّنات التاليات: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[2].

---

(١) تحف العقول، ص٢٤٥، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٨٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

لأن الأنعام لا عقل لها ولا تقصير لها في إيجاد هذا الواقع، بيد ان الإنسان يملك هذه النعمة ولكن متهاون في تسخيرها لسعادته.

نتيجة كبح هوى النفس

كان عبد الله ـ رجل من مزينة ذو البجادين ـ يتيماً في حجر عمّه، فكان يعطيه، وكان محسناً إليه. فبلغ عمّه انه قد تابع دين محمد، فقال له: لئن فعلت وتابعت دين محمد لأنزعن منك كل شيء اعطيتك. قال: فإنّي مسلم. فنزع منه كل شيء أعطاه حتّىٰ جرّده من ثوبه. فأتىٰ أمّه فقطعت بجاداً لها باثنين، فاتّزر نصفاً، وارتدىٰ نصفاً. ثم أصبح فصلّىٰ مع رسول الله ﷺ الصبح. فلمّا صلّىٰ رسول الله تصفّح الناس ينظر من أتاه، وكان يفعل، فرآه رسول الله ﷺ فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد العزّىٰ. فقال: أنت عبدالله ذو البجادين، فالزم بابي. فلزم باب رسول الله ﷺ. وكان يرفع صوته بالقرآن والتسبيح والتكبير[1].

ولبث زماناً وتعلّم القرآن وخرج مع رسول الله ﷺ إلىٰ تبوك. فلمّا حصل بتبوك قال: يا رسول الله ﷺ ادع الله لي بالشهادة. فقال: ائتني بلحاء سمرة؛ فأتاه به فربطه رسول الله ﷺ علىٰ عضده وقال: «اللّهم حرّم دمه علىٰ الكفّار» فقال: يا رسول الله، ما هذا أردت. فقال النبي ﷺ: «إنك إذا خرجت غازياً في سبيل الله فأخذتك الحمّىٰ وقتلتك فأنت شهيد» فلمّا أقاموا بتبوك أخذته الحمّىٰ فتوفّي[2].

وحفر له قبر هناك ونزل فيه رسول الله ﷺ فلمّا هيّأه لشقّه قال:

---

(١) أسد الغابة، ج٣، ص١٢٢.

(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص٢٥٠.

اللّهم إنّي أمسيت راضياً عنه، فارض عنه. قال: يقول عبدالله بن مسعود: يا ليتني كنت صاحب هذه الحفرة[1].

من قصص اتّباع الهوى

ورد في كتب التاريخ أنَّ معاوية بن أبي سفيان كان جالساً يوماً في مجلس كان له بدمشق وكان الموضع مفتّح الجوانب يدخل فيه النسيم من كل جانب. وكان يومئذ يوماً شديد الحر لا نسيم فيه. وكان في وسط النهار وقد لفحت الهواجر، إذ نظر إلىٰ رجلٍ يمشي نحوه، وهو يتلظّىٰ من حر التراب، ويحجل في مشيته حافياً. فتأمله وقال لجلسائه: هل خلق الله أشقىٰ ممن يحتاج إلى الحركة في هذا الوقت وفي مثل هذه الساعة؟

فقال بعضهم: لعله يقصد أمير المؤمنين.

فقال: والله لئن كان قاصدي لأجل شيء لأعطينّه أو مظلوماً لأنصرنّه. يا غلام قف بالباب، فإن طلبني هذا الأعرابي فلا تمنعه من الدخول عليّ.

ولما أخبرَ الغلامَ أنه يريد معاوية، أدخله. فدخل فسلّم. فقال له معاوية: ممن الرجل؟ قال: من تميم. قال: فما الذي جاء بك في مثل هذا الوقت؟ قال: جئتك مشتكياً وبك مستجيراً. قال: ممن؟ قال: من مروان بن الحكم عاملك. فلمّا سمع معاوية كلامه، والنار تتوقد من فيه، قال له: مهلاً يا أخا العرب! اذكر قصّتك وأبِن لي عن أمرك.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، ص١٨١، (طبعة دار إحياء التراث ١٤١٥هـ).

قال: يا أمير المؤمنين، كانت لي زوجة وكنت لها محبّاً وبها كلفاً، وكنت بها قرير العين طيب النفس. وكانت لي جذعة من النخل كنت أستعين بها علىٰ قوام حالي وكفاية أودي. فأصابتنا سنة أذهبت الخف والحافر، فبقيت لا أملك شيئاً. فلمّا قل مالي، علم أبوها ما بي من سوء الحال، أخذها منّي وجحدني وطردني وأغلظ عليّ. فأتيت إلىٰ عاملك مروان راجياً لنصرتي. فلما أحضر أباها وسأله عن حالي قال: ما أعرفه قط. فطلبت من مروان أن يحضرها ويسألها عن حالي. فلما حضرت بين يديه وقعت منه موقع الإعجاب. فصار لي خصماً وعليّ منكراً وأظهر لي الغضب وبعثني إلى السجن. ثم قال لأبيها: هل لك أن تزوجنيها علىٰ ألف دينار وعشرة آلاف درهم وأنا ضامن خلاصها من هذا الأعرابي فرغب أبوها في البذل وأجابه إلىٰ ذلك.

فلما كان من الغد بعث إليَّ وأحضرني ونظر إليَّ كالأسد الغضبان وقال: طلّق سعاد. فرفضتُ، فسلّط عليَّ جماعة من غلمانه فأخذوا يعذبونني بأنواع العذاب. فلم أجد لي بداً من طلاقها. ففعلت. فأعادني إلىٰ السجن، فمكثت فيه إلىٰ ان انقضت عدّتها فتزوّجها وأطلقني. وقد أتيتك راجياً وبك مستجيراً. فقال معاوية: لقد أتيتني يا اعرابي بحديث لم أسمع بمثله قط.

ثم كتب إلىٰ ابن الحكم كتاباً يقول فيه: قد بلغني أنَّك تعديت علىٰ رعيّتك في حدود الدين، وينبغي لمن كان والياً أن يكف بصره عن شهواته ويزجر نفسه عن لذّاته ثم طوىٰ الكتاب وبعثه إلىٰ ابن الحكم يأمره فيه بإخلاء سبيل المرأة التي تزوجها وأن يبعث بها إلىٰ الشام. فطلّقها وأرسلها إلىٰ الشام.

وأمر معاوية بإحضار الجارية. فلمّا حضرت عنده رآها ذات صورة حسناء لم ير أحسن منها ولا مثلها في الحسن والجمال والقد والاعتدال. فخاطبها فوجدها حسنة البيان وفصيحة اللسان. فقال: عليَّ بالأعرابي. فأُتي به وهو في غاية من تغيّر الحال.

فقال: يا أعرابي! هل لك عنها سلوة وأعوضك عنها ثلاث جوارٍ نهدِ أبكار كأنهن الأقمار، مع كل جارية ألف دينار، وأقسم لك في بيت المال كل سنة ما يكفيك وما يغنيك.

فقال له الأعرابي: استجرت بعدلك من جور ابن الحكم، فبمن استجير من جورك؟ لو أعطيتني الخلافة ما أخذتها دون سعاد.

فقال له معاوية: أنت مقر بأنّك طلقتها، ومروان مقر بأنّه طلّقها. ونحن نخيّرها فإن اختارت سواك تزوجناها، وان اختارتك حوّلناها إليك.

فقال: ما تقولين يا سعاد! فقالت: والله ما أنا بخاذلته لحادثة الزمان ولا لغدرات الأيام، وإن له صحبة قديمة لا تُنسىٰ، ومحبّة لا تبلىٰ، وأنا أحق من يصبر معه في الضرّاء كما تنعمت معه في السراء.

فتعجب معاوية من عقلها ومودّتها له وموافاتها. وأمر لهما بمال وصرفهما[1].

هناك من الناس من ينغمس في الأهواء النفسانية وفي نوازع حب الشهرة والجاه والمال والرئاسة إلىٰ حدّ العبادة. ومثل هؤلاء الأشخاص

---

(١) إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، ص٣٠ ـ ٣٥ (مع التلخيص.

يعتبرون في الحقيقة عبدة أصنام، وصنمهم هو الأهواء النفسية. وقد وصفهم القرآن الكريم بالصورة التالية:

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾[1].

من الطبيعي ان الانقياد للأهواء النفسية ينزل بالمرء من أوج الإنسانية إلىٰ حضيض الحيوانية، بل قد يصبح أحياناً أدنىٰ من جميع الحيوانات.

كان بلعم بن باعوراء ممن وصلوا إلىٰ درجات عالية من العلم، إلاً أنَّه لم يعرف قيمة نفسه، وانقاد لأهوائه النفسية، فشبّهه القرآن الكريم بالكلب وذلك بقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ﴾[2].

إنَّ من يتّبع هواه يفقد حريّته ويصبح عبداً مطيعاً لميوله وأهوائه النفسية، ولا يستطيع التفكير أو العمل بحريّة. وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال في هذا المعنىٰ: «عبد الشهوة أشد من عبد الرقّ»[3].

وقال تعالىٰ في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾[4].

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.

(٣) عيون الحكم، ٣٤١؛ عوالي اللآلىء، ج١، ص٢٧٣.

(٤) سورة ص، الآية: ٢٦.

وقد بعث رسول الله ﷺ إلىٰ الناس حاملاً إليهم تعاليم السماء لتوجيههم نحو طريق السعادة وتحريرهم من قيود عبادة الأصنام والانقياد للأهواء، وكل من يتّبع تعاليم الرسول يتسنىٰ له كبح غرائزه الحيوانية والاستنارة بضياء العقل والعلم وقوّة الإيمان للسير علىٰ طريق الفلاح. هذه الحقيقة عبّر عنها القرآن الكريم تعبيراً جميلاً حيث قال:

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

نتائج مخالفة هوى النفس

كان المرحوم آية الله العراقي يجيد تفسير الأحلام. وقد سمعت ذات مرّة أنّه قال: أُعطيت القدرة علىٰ تفسير الأحلام لثلاثة: للنبي يوسف عليه السلام، ولابن سيرين، ولي. وقد نقل الشيخ غلام حسين الأصفهاني ان المرحوم العراقي قال:

عندما كنت أدرس في العراق كانت لدي غرفة في المدرسة العلمية. وفي إحدىٰ ليالي الشتاء الباردة التي اشتدّ نزول الصقيع فيها كنت مشغولاً بالمطالعة في أواخر الليل، وفجأة فتح باب الغرفة ودخلت امرأة شابة وقالت: ائذن لي بالمبيت هذه الليلة في غرفتك. فلم آذن لها. فقالت: ليس لدي مكان للمبيت والجو بارد، وأخشىٰ أن تأخذني النزوات الشيطانية.

اضطررت إلىٰ السماح لها بالدخول، وقلت لها: الطعام موجود،

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

يمكنك أن تأكلي وتنامي. وأطرقت برأسي إلىٰ الكتاب وانهمكت بالمطالعة. فجاءت هي بالطعام وأكلت، وبعد تناول الطعام نامت. وبعدها تناولت أنا أيضاً طعام العشاء ونمت.

وشعرت أثناء النوم أن رجل المرأة لامست رجلي، فاستيقظت. ومرة أخرىٰ لامست رجلها رجلي، ولم أكن أدري إن كانت نائمة أم مستيقظة، فلم أبالي لها. وفي المرة الثالثة لامست رجلها بدني. وبدأ الشيطان يوسوس لي. فخرجت من الغرفة مخافة أن تتغلب عليَّ وساوس الشيطان وهواجس النفس الأمّارة. وبقيت أركض حتىٰ الصباح تحت الصقيع وفي ذلك الجو البارد. وعند الصباح ذهبت المرأة. ووجدت في نفسي القدرة على تفسير الأحلام.

سُئل أحد الأعلام: ما معنىٰ الحديث القائل: «أعدىٰ عدوّك نفسك التي بين جنبيك»[1]؟ قال: ذلك لأن كل عدوّ تحسن إليه ينقلب إلى صديق. إلاّ النفس فإنّك كلما ازددت إليها إحساناً، ازدادت تمرّداً وطغياناً. وقال الشاعر في هذا المعنىٰ:

قلة الطعام تجعل الإنسان ملاكاً وإذا أكل بالبهائم يمسي كالجماد
إلهي كل من أطاعك تعطيه مراده وإذا وجد مراده كبح أهواء نفسه[2]

---

(١) عوالي اللآليء، ج٤، ص١١٨؛ بحار الأنوار، ج٦٧، ص٦٤.

(٢) أصل هذا الشعر باللغة الفارسية:

فرشته خوى شود آدمى بكم خوردن وكر خورد جو بهائم بيوفتد جو جماد
مراد هركه بر آرى مطيع امر توكشت خلاف نفس كه فرمان دهد جو يافت مراد

١٤ ـ حب الرئاسة والمقام

قال تعالىٰ في قرآنه الكريم:

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[1].

وقال أيضاً في آية أخرىٰ:

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾[2].

قيادة أولياء الله

للقيادة أنواع متعددة، فتارة يصطفي الله شخصاً لقيادة الناس انطلاقاً من علمه بمقدرة هذا الشخص وأهليته لمثل هذا المنصب. ومن الطبيعي أن مثل هذا الشخص يتحلّىٰ بالأهلية التامّة والقدرة الكافية علىٰ

(١) سورة القصص، الآية: ٨٣.

(٢) سورة هود، الآيتان: ١٥ و١٦.

أداء مهام هذا المنصب، وإلاّ لما جعل الله هذا العبء الثقيل علىٰ عاتقه. كما هو الحال بالنسبة للمناصب التي جعلها الله للأنبياء ولأئمة الهدى عليهم السلام ولكبار علماء الشيعة. ومما يؤيد هذا المعنىٰ:

١ - ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[(١)].

٢ - ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾[(٢)].

٣ - ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾[(٣)].

٤ - ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[(٤)].

وجاء في الحديث الشريف: «أربع يسود بهن المرء: العفّة والأدب والعقل والجود»[(٥)].

يستشف من هذه الآيات والروايات وأمثالها ان القيادة التي جعلت من قبل الله لبعض الأشخاص، وافترض طاعتها علىٰ العباد هي قيادة الأولياء. وكل من يتحلىٰ بصفات العلم والأخلاق والتقوىٰ أكثر من غيره، فهو أفضل عند الله. ولا يخفىٰ أيضاً أنه هو سبحانه الذي منّ علىٰ هؤلاء الأشخاص بمثل هذه الفضائل.

الصفة البارزة في هذا النوع من القيادة هي ان الرئاسة والزعامة ليست مطلوبة لذاتها وإنّما تُتخذ كمقدّمة لإجراء أحكام الله وإصلاح

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

(٣) سورة ص، الآية: ٢٦.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٥) الاختصاص، ص٢٤٤.

شؤون المجتمع وترسيخ قواعد الدين ورفع كلمة التوحيد ومكافحة المفاسد. وهذا النوع من القيادة محمود وحسن، ولكنه في الوقت ذاته علىٰ جانب كبير من الخطورة، وإذا لم يوفّق المرء بتسديد من ربّه لا يمكنه الالتزام بشروطها. وهناك عباد من عباد الله الخاصّين دعوا ربّهم للحصول علىٰ مثل هذا المنصب. فقد جاء في القرآن الكريم عن لسان النبي سليمان عليه السلام أنّه قال:

﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾[1].

وقد استجاب الله دعاءه ووهبه ملكاً عظيماً.

ووصف القرآن عباد الله الصالحين كما يلي:

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾[2].

وقال النبي يوسف عليه السلام لملك مصر:

﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[3].

قيادة المراجع

أما فيما يخص المراجع وعلماء الدين فمن الطبيعي أنَّ مَن يهدف منهم إلىٰ التفقّه في الدين واكتساب العلم والتقدّم المعرفي، ويرمي إلىٰ التعلّم من أجل العمل وتعليم الآخرين، فإن الدافع الرئيسي الذي يحفّزه

---

(١) سورة ص، الآية: ٣٥.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٥٥.

نحو ذلك هو لنيل رضا الله والحصول علىٰ ثواب الآخرة. ولكنه يعلم في الوقت ذاته أن الأتقى والأغزر علماً قادر علىٰ الوصول إلىٰ مرتبة المرجعية أو أي منصب آخر من مناصب الزعامة الدينية، ويحتمل أيضاً إمكانية عدم حصوله علىٰ أي منصب منها. ومع ان نزعة حب الرئاسة تدخل في عداد الغرائز المودعة في ذات الإنسان، بيد أن دافعه في مثل هذه الحالة ليس حب المقام ولا الطمع في الرئاسة. وحتىٰ لو كان لديه مثل هذا الدافع أثناء الدراسة، لا بد وأنه يتلاشىٰ بمرور الزمن ويضمحلّ مع ازدياد علمه ووعيه، وهو لا يهدف إلىٰ اتخاذ علمه كوسيلة لاستقطاب أنظار الناس إليه، أو لإحراز منصب الزعامة والرئاسة، إلا في الحالات التي يستطيع أن يقدّم فيها عبر هذا الطريق خدمة كبيرة للدين وللمؤمنين. ولكن بما أن الناس مكلفون بالرجوع إلى الأعلم، فإن الرئاسة تلقىٰ علىٰ عاتقه شاء أو أبى، ويصبح ملزماً بقبولها. ومثل هذه الرئاسة غير مذمومة أيضاً، بل تنطوي علىٰ فوائد جمّة، وإن كانت لا تخلو أيضاً من المصاعب. وإذا أتيح للشخص ان يؤدي الأمانة الملقاة علىٰ عاتقه في هذا المجال، يحرز بذلك أسمى الفضائل وينال أجزل الثواب وأوفره.

لقد أحرز الكثير من علماء الشيعة الكبار مثل هذا المنصب، وأدّوا دورهم فيه علىٰ خير وجه، وصانوا حدود الدين وأحكامه، وحفظوا ثغور الإسلام في ظل رعاية الإمام صاحب الزمان (أرواحنا فداه)، وعملوا انطلاقاً من منصب المرجعية علىٰ تقوية أركان الإسلام وترسيخ أحكام الله.

وهناك نوع من الرئاسة وهي رئاسة من لا تتوفر فيهم الأهلية

للتصدي للشؤون الدينية، وإنَّما يحرزون هذا المنصب انطلاقاً من رغبتهم في إشباع غريزة حب الرئاسة، أو الذين يطمحون منهم في التصدّي لأمر الرئاسة من خلال التخطيط والتدبير وتوفير المتطلبات اللازمة لها. فهؤلاء إنما يسلكون بأرجلهم إلىٰ نار جهنّم. وكل من يصدّق كلام هؤلاء الأشخاص ويتّبعهم بلا دليل فهو إنَّما يقتفي أثر خطاهم نحو السقوط في الهاوية، ويستحوذ عليهم الشيطان وغالباً ما تدفن معهم أهواؤهم وأمانيهم الباطلة.

وخلاصة الكلام هي أن حب الرئاسة إذا كان مبعثه حب الدنيا، وإذا كان غاية بحد ذاته وليس وسيلة لنيل رضا الله، فهو يدخل في عداد دوافع الذنوب، ويؤدي إلىٰ ارتكاب الظلم والقتل وتشريد المستضعفين ومناصرة المستكبرين، وترميل النساء، وتيتيم الأطفال الأبرياء، وما إلىٰ ذلك. إذاً الرئاسة أيضاً تقسم كبقية الأشياء إلىٰ قسمين: ممدوح ومذموم.

فالرئاسة إمَّا أن تكون غاية أو وسيلة. فإذا كانت غاية فهي تدخل بلا ريب في عداد النوع الثاني؛ أي الرئاسة المذمومة. وأما إذا كانت وسيلة فلا يُستبعد أيضاً أن تكون وسيلة للشهوات والأطماع والأماني الباطلة ولا شك في أنها مذمومة أيضاً. ولكن إذا اتخذت كوسيلة لتطبيق العدالة وإجراء أحكام الله فهي ممدوحة.

وبعبارة أخرىٰ، يمكن النظر إلىٰ جميع الأمور الدنيوية ومنها الرئاسة، إذا كانت بعيدة عن الله وقريبة من الشيطان وتسير في ركابه، فهي مصدر لجميع الذنوب والمعاصي، أما إذا كانت بعيدة عن إبليس ومكرّسة في سبيل الله ولا يُراد منها الرئاسة بذاتها، فلا إثم فيها.

وفي الإسلام يجوز أن يتولّىٰ رئاسة شؤون المسلمين اما من يكون معصوماً أو من يكون منصوباً من قبل الإمام المعصوم؛ أي إمام الزمان عليه السلام حيث تكون عدالته وتقواه محرزة كما هو الحال بالنسبة لعلماء ومراجع الإسلام، وفي هذا العصر قائدنا العزيز وأمل المسلمين والمستضعفين الإمام الخميني دامت بركاته، نسأل الله أن يطيل عمره الشريف الزاخر بالعطاء.

آمين يا رب العالمين

الفهرس